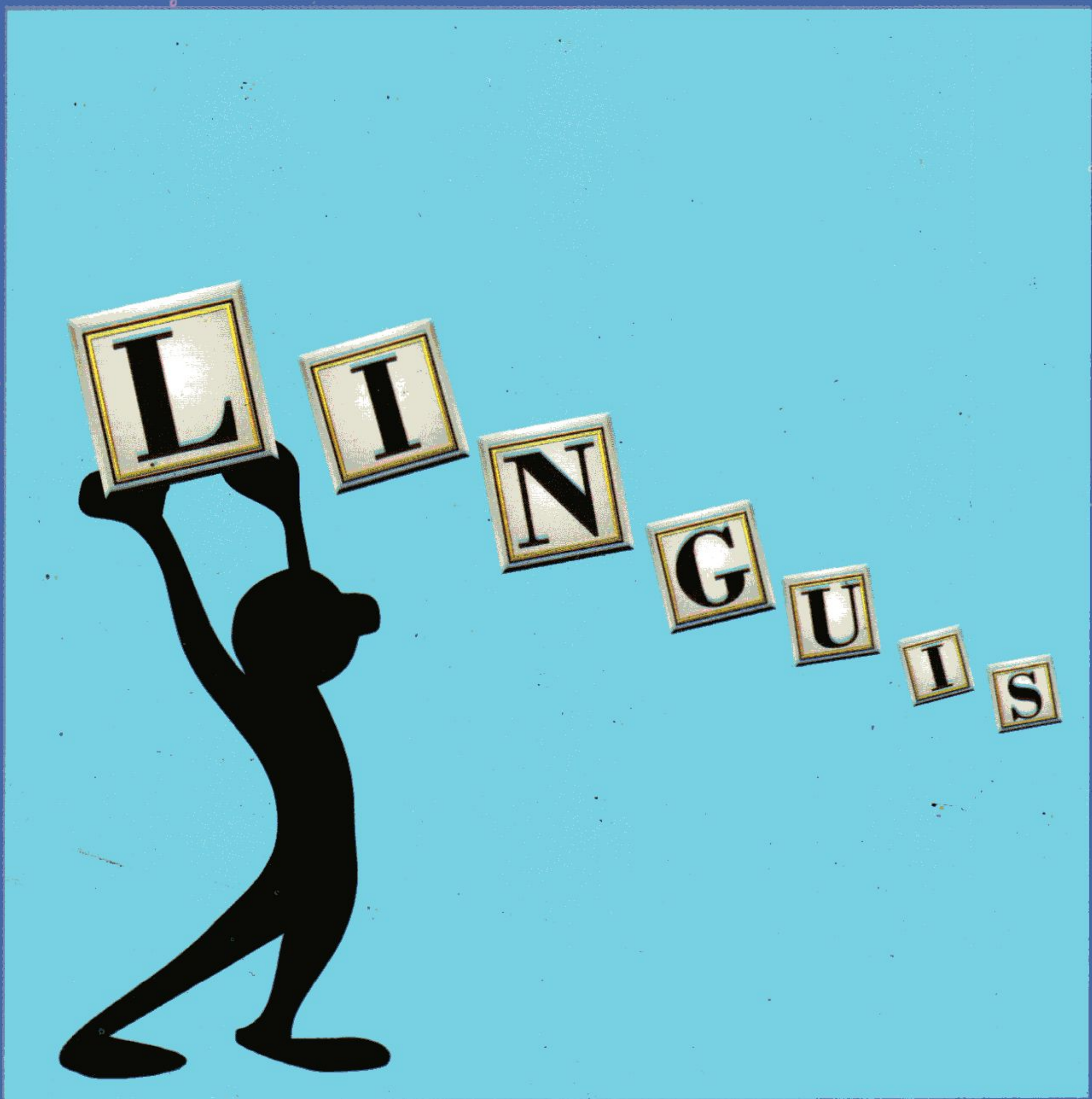
جان بيرو

اللسانيات

سلسلة العلم والمعرفة



حقل اللغة

دار الآفاق

جـــون بـيــرو

اللسانيات

تــرجمة : الحواس مسعودي

مفتاح بن عروس

DL 685 - 2001
ISBN 9961-57-077-4

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

صدر هذا الكتاب أول مرة سنة 1953 في سلسلة ?que sais-je عن المطبوعات الجامعية الفرنسية. وهو الآن في طبعته الخامسة عشرة الصادرة سنة 1966. وهذا دليل على ما للكتاب من أهمية في أوساط الجامعيين، طلبة وأساتذة. ويرجع هذا أساسا إلى تعرضه إلى أهم ركائز هذا العلم:

-موضوعه،
-توثيقه،
-اللسانيات الوصفية،
-اللسانيات التاريخية والمقارنة،
-اللسانيات العامة.

ومنذ ذلك الوقت، لم يحدث تغيير يذكر على هذه الركائز، اللهم إلا ظهور علوم أخرى مستنبطة نظرا لظهور عوامل وروافد أخرى تعكس مدى التطور الحاصل في كل العلوم وفي مختلف المجالات.

وإذ نقدم هذه الترجمة، فعن وعي بما تعاني منه مكتباتنا وكذا بقصد ربط الطلبة والأساتذة مباشرة بمصدر المعلومة.

لقد حاولنا، قدر المستطاع، تبسيط لغة الترجمة، رغم أننا نعترف أن ترجمة "جان بيرو" ليست سهلة. فهو ألف كتابه في زمن لم تكن حال اللسانيات مثلما هي عليه الآن. ولم تكن المصطلحات والمفاهيم موحدة، ولكننا حاولنا الاستفادة مما هو متفق عليه حتى لا نزيد الأمر تعقيدا.

والله ولي التوفيق.

المترجمان

الجزائر في جانفي 2001

مقدمـــة

موضوع اللســـانيات

إن موضوع اللسانيات هو الدراسة العلمية للغـــات. فـــهي تـــرى في التجليات، التي هي اللغات، ظاهرة متعددة الجوانـــب، اللســـان.

تبدو اللغة من الناحية الخارجية كأداة تواصـــل بـــين النـــاس، فـــهي توجد حيثما كان هناك أنـــاس يعيشـــون في مجتمـــع. ولا وجـــود للغـــة مستعملة دون أن تكون وسيلة تواصـــل.

واللغة متعددة في تجلياتها : فهي تتحقـــق في أشـــكال جـــد متنوعـــة يطـــلق عليهـــا في الفرنســـية حســـب الحـــالات لـــغـــات (Langues)، لهجـــات (Dialectes)، بـــاتوا (Patois) (لهجـــة مصطنعـــة من قبل ما قصد التمـــيز)، أرغـــو (Argots)(مجموعـــة مـــن الكلمـــات الشفهية غير التقنية تستعملها مجموعة معينـــة).

غير أنها واحدة في أساسها، تؤدي وظيفة بشرية : فـــهي تقـــوم علـــى الجمع بين مضامين فكر وبين أصوات ناتجة عن طريـــق الكـــلام. وهـــذا الجمع يحدد المعنى الضيق والدقيق لكلمة لغة الـــتي يمكـــن أن يكـــون لهـــا معنى أعم. وباعتبارها وسيلة تواصـــل فـــهي تنـــدرج، حينئـــذ ضمـــن مجموعة الأدلة التي تبلّغ بإتقـــان نســـبي دلالات تمـــس كـــل حواســـنا : فكل حاسة يمكن أن يقابلها نوع من اللغـــة : فـــهي سمعيـــة إذا كـــانت موجهة للأذن وهي بصرية إذا كانت موجهـــة للعـــين.الخ...

إلا أن إمكانيات التواصل متفاوتة جدا بالنسبة لمختلف الحواس. فللغة البصرية وللغة السمعية مكانة خاصة. وقد شكلت الإشارة، التي هي سند للخطاب في تعبيريته الخاصة، نظاما كاملا للتواصل بالنسبة للصم - البكم.
وكذلك الحال بالنسبة لأنظمة اتفاقية تلعب دور الرابط بين مختلف القبائل ذات الانتماءات اللغوية المختلفة، كما هو الشأن في السهول الكبرى لأمريكا الشمالية. وهناك شكل آخر للغة البصرية هو التواصل بالصور الذي يتحقق في الحكايات الصامتة (مثل بعض صور إيبينال Epinal) وفي بعض التمثيلات الرمزية المستعملة كخطابات مثل الرسومات المستعملة كرموز عاطفية من طرف فتيات يوكاغير بسيبيريا (Les Youkaguirs de Sibérie).

لكن المجتمعات البشرية توسعت أكثر في اللغة السمعية فقد يُحدث استعمال الأدوات والأجهزة أصواتا ذات دلالات بسيطة. ومن هذا المنطلق ظهرت اللغات الطبلية المنتشرة كثيرا عند زنوج إفريقيا، أو إرسال الخطابات عن طريق طبول خشبية في شمال غرب الأمازون، وكل أشكال الأجراس والنداءات المستعملة في المجتمعات الحديثة. وتعود أهمية اللغة السمعية إلى اعتمادها على الأصوات التي ينتجها الإنسان عن طريق اهتزازات كتلة الهواء التي يحولها في عملية التنفس. ويوجد في بعض المجتمعات لغة صفيرية حقيقية : مثلما هو الحال عند الهنود المازتكيين في المكسيك وعند بعض الزنوج في إفريقيا، غير أن الأساس هو وجود لغة << منطوقة>> تتمثل وظيفتها في إرسال واستقبال الأصوات الناتجة عن فعل الكلام. وهذه << اللغة>> بالمعنى الأكثر تداولا هي موضوع اللسانيات، ونتكلم في المقابل عن <<لسانيات إشارية>>.

لقد استدعت اللغة السمعية المؤسسة على الكلام لغة بصرية ما هي في الحقيقة سوى التمثيل البياني، وليس أي اشتراك مع اللغة البصرية المذكورة سابقا. إن هذه اللغة البصرية، الكتابة، هي نظام اصطلاحي وجد متغير يجمع بين التشكيلات البيانية و التحقيقات الصوتية للكلام.

وتتجلى اللغة كمؤسسة اجتماعية ذات طبيعة خاصة مبينة على استعمال الكلام لتبليغ الأفكار.

إذا تمت مراعاة الظروف الاجتماعية التي تؤدى فيها اللغة وتتطور فإن دراستها تدخل في إطار **علم الاجتماع**، الذي هو الدراسة العلمية للمجتمعات. وهناك محاولة لتأسيس **علم اجتماع لغوي**.

ومن جهة أخرى، تدخل اللغة، بحكم وظيفتها، في مجموع أنظمة الأدلة. وتندمج اللسانيات في علم خاص موضوعه وظيفة الأدلة في المجتمع وهو **السيميولوجيا**. لقد تأسس هذا العلم اليوم، بعد الإسهامات الفلسفية فيه، كعلم دلالة موسع، وذلك حسب مناهج التحليل اللساني الحديث.

وترتبط اللغة التي هي نظام أدلة يعبر عن أفكار، بالنشاط النفسي : فهي تدخل في موضوع **علم النفس**. كما أن **علم النفس اللغوي** يفسح اليوم المجال لدراسات هامة.

وفي الأخير، تفترض اللغة نشاط بعض أعضاء الإنسان، ويفسر **علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء** ميكانزمات هذا النشاط. ومن جهة أخرى يستخلص اللسانيون، مثل علماء النفس، الكثير من الدروس مما ينجز في **علم أمراض الكلام** (الحبسة خاصة).

فللسانيات إذن موضوع متعـــدد الأبعـــاد، ولكنـــها تتناولـــه ككـــل وتغطي كل أبعاده بشكل يجعله موضوعا خاصا بهـــا. ويتمثـــل هدفـــها العام في دراسة اللسان البشري بكل تعقيداتـــه، ولكنـــها تهتـــم أساســـا بالدراسة العلمية للغـــات.

اللسانيات علم حديث لا زال في أوج تطوره. وقـــد تخلـــص ببـــطء من التعاليم النحوية ومن بحوث الفيلولوجيا والتفكـــير الفلســـفي حـــول أسس المعرفة وحول العلاقات بين الفكر ووسائل التعبـــير عنـــه.

لقد استعملت لغة السومريين لمنطقة ما بين النـــهرين القديمـــة كلغـــة دينية وأدبية للأكـــاديين، اصبحـــت اللغـــة الســـامية (ينظـــر في ص 20) الذين خصصوا لهذه اللغة الراقية في مجال التعليم، نحوا بقـــي لنـــا منـــها إشارات وهي أقدم وثائق نحوية معروفـــة.

وتطلبت الاحتياجات العملية للتعليم، والـــتي أثـــرت بشـــكل بـــارز، الكتابة التي لعب اختراعـــها ونشـــرها دورا حاسمـــا. كمـــا أن تثبيـــت اللغات في تمثيلات بيانية ساهم في التفكير في اللغـــات نفســـها. كمـــا أن عملية الحفظ، في شكل نصـــوص مكتوبـــة، لحـــالات قديمـــة للغـــة في مجتمعات حافظت على ثقافـــة معينـــة لمـــدة طويلـــة، شـــكلت عـــاملا أساسيا. وكانت الحاجة العملية لفهم نصـــوص قديمـــة هـــي العـــامل في تطوير الدراسات النحوية في الهند القديمـــة وفي الإســـكندرية في القـــرن III (الثالث) قبل الميلاد، فهناك شـــروح نحويـــة حـــول السنســـكرتية - لغة الهنود المقدسة - وهنـــاك نشـــاط علمـــاء اللاهـــوت والمعجميـــين والشراح لتفسير النصوص القديمة لهومـــيروس المدونـــة في زمـــن ســـابق، ولأولى الأشعار الغنائية الإغريقيـــة.

وإذا كانت العائلة اللغوية السامية قد استفادت من أعمال مقارنة قبل ظهور النحو المقارن للغات الرومانية فذلك نتيجة للأعمال التي قام بها البحاثة الساميون الذين كانوا نحويين ومفسرين في آن واحد.

وفي المقابل، فإن تمثيل أصوات اللغة بالكتابة كان مصدر غموض وتداخل : تداخل بين الحقيقة الصوتية والعلامة الكتابية التي تسمى قديما <<نحوا>> والتي جاءتنا من عند الإغريق، فقد كانوا يسمون النحو Grammatiké إي فن أو علم استعمال الحروف (Grammata). وهذا التداخل، الذي ما زال شائعا إلى يومنا، خلق الظروف المناسبة لجدالات تأصيلية. مثال ذلك جدالات إ. قيشار (E. Guichard) (ينظر ص 67) في بداية القرن 17 : فانطلاقا من اعتبار اللغات كلها منحدرة من العبرية تم تفسير التطورات اللغوية إما بالإضافات وإما بالحذف وإما بتغيرات الحروف التي تعود إلى تحول اتجاه الكتابة (من اليمين إلى اليسار عند العبريين، ومن اليسار إلى اليمين عند الشعوب التي تتكلم اللغات التي تعتبر مشتقة).

لقد ساهم التطور الحاصل في دراسة النصوص الموروثة من القديم (النشاط الفيلولوجي المؤسس في نهاية القرن 18 من قبل ف.أ. وولف في ظهور البحوث اللسانية التاريخية للقرن 19.

وهكذا تم القيام بمقارنات بين لغات معروفة. كما أن دراسة التوافقات أدى إلى ظهور <<فقه اللغة المقارن>> الذي تولدت عنه اللسانيات التاريخية للقرن 19. وتحولت اللغات إلى موضوع دراسة علمية خاصة. وفرض مصطلح " اللسانيات " نفسه تدريجيا. وما زال مصطلحا **الفيلولوجيا واللسانيات**، إضافة إلى مصطلح " نحو " تستعمل بتفاوت بكثرة اليوم وخاصة في المجال التعليمي رغم أن

هناك توجها معقولا لتخصيص تسمية الفيلولوجيا لدراسة النصوص وتسمية اللسانيات لدراسة اللغات واللسان.

إن الوعي بتطور اللغات ولد منذ نهاية القرن 18 وخاصة في القرن 19 عدة نقاشات حول أصل اللغة. ثم أدى تطور اللسانيات التاريخية المقارنة إلى فقد الثقة بهذا النوع من البحوث وتحول الجزء الأكبر من المجهودات إلى مجال تاريخ اللغات.

وأظهرت هذه البحوث التاريخية أو أوضحت المشاكل العامة للبنية والتطور التي تطرحها اللغات، كما أدت باللسانيين، خاصة منذ بداية القرن 20 إلى الانطلاق على أسس جديدة في بحوث ذات طابع عام. وقد أدت هذه الأعمال في البداية إلى تطوير معارفنا حول شروط عمل كل لغة. وبدأت تظهر أهم النتائج بوضوح كما أنها فرضت وجودها بشكل واسع. ودفع هذا التقدم بدوره إلى تجديد مناهج اللسانيات التاريخية وذلك بإدراج مبادئ للتفسير ورؤى جديدة لا زالت مستعملة إلى أيامنا هذه.

تمثل اللسانيات الحديثة مختلف أنواع البحوث التي أثرت في تطورها : وصف كل اللغات المعروفة. وتاريخ اللغات، الذي يتشكل جزء كبير منه من النحو المقارن المؤسس على المنهج المقارن، والذي يهدف إلى تحديد درجات القرابة والتقارب بين اللغات. والدراسة العامة لظروف عمل اللغة وللبنية ولتطور اللغات، وهي دراسة تشكل موضوع اللسانيات العامة.

الفصل الأول

التوثيــق اللســاني
مجالــه وطرائــقه

تتمثل أول مهمة للسانيات في وصف كل وقائع اللغــة الــتي يمكــن ملاحظتها. ولا يمكن تأسيس علم للسان إلا بالإعتمــاد علــى معطيــات ناتجة عن ملاحظة متنوعة شــاملة ودقيقــة قــدر الإمكــان لأشــكال اللسان المعروفــة.

يلعب التجريب دورا محددا في توثيــق اللســاني. فــهو لا يدخــل إلا في بعض جوانب اللسان خاصة منها إنتاج الأصــوات، فــهناك أجــهزة تسمح بخلق شروط تجربة تبرز بعضا من وقــائع الصوتيــات العامــة. إن أساس المادة التي تعتمد عليــها اللســانيات منبعــها ملاحظــة اللغــة في استعمالها العــادي.

لقد اقتضت الحاجة إلى تعليم اللغات للقيــام بدراســات وصفيــة في شكل <<نحو>> للغات ذات الحضــارة. غــير أنــه، ولتــاريخ قريــب، كانت لغات الشعوب المتخلفة الموزعــة عــبر أنحــاء العــالم بحاجــة إلى عمل كبير. ومن مميزات العصر الحــالي تعميــم جمــع المــادة اللغويــة، وتطوير طرق البحث بمراعاة المتطلبــات العلميــة الحديثــة وباســتعمال الوسائل التقنية التي يوفرها التطــور المــادي، وأخــيرا وصــف اللغــات بروح جديدة مستفيدة من التطور الذي حققته اللســانيات العامــة.

أ - جمــع المادة

1 - معرفة لغات العالم : لمحة تاريخية.

بفضل الاتصالات التي تتم بين مختلف منـــاطق العـــالم، والإحســـاس بالحاجة إلى معرفة الحضارات الأخرى، وانتشار الطباعـــة، عرفنـــا منـــذ القرن 16 عددا كبيرا من اللغات. وكـــان مـــن نتـــائج هـــذا تضـــاعف المعاجم والمؤلفات المتعددة اللغـــات.

فمنذ الفترات الأولى للطباعة ظهر نوع مـــن النشـــر، توســـع فيمـــا بعد وحقق إستمرارا حـــتى العصـــر الحديـــث : في حـــوالي 1427 قـــدم شيلد بارجي (Schild Berger) في رحلة من رحلاتـــه صيغتـــين لصـــلاة الأبانا (Pater Naster) بالأرمينيـــة والتتاريـــة. ثم اســـتعمل الـــ Pater Naster فيما بعد بانتظام كنموذج لغوي في عـــدة أعمـــال وصفيـــة : " الميـــتريدات " (Le Mithridate) لـــكونراد جيســـنر (Conrad Gesner) في 1955 و " La cosmographie Universelle " لأنـــدري تيفـــت (André Thevet) في 1575 و (Le Trésor de l'Histoire des Langues) لكـــلود ديـــري (Claude Duret) في 1613.

عرف التوثيق اللغوي تطـــورا في القـــرن 18. فقـــد كـــان لاهتمـــام الفيلسوف لاينـــز (Leibniz)(1646 - 1716) ببعـــض القضايـــا اللغويـــة دور في دفع بيار الكبـــير (Pierre Le Grand) للقيـــام بتحريـــات واســـعة في مملكته. ومكنت المجهودات المبذولة فيما بعد بدعـــم مـــن كـــاترين II

(Catherine) من نشر مؤلـــف ضخـــم لــــ : ب. س. بـــالاس (P.S. Pallas) في نهاية القرن 18 هـــو :

Linguarum totius orbis vocabuilaria comarativa augustissimac cura collecta (1787 - 1789) وقـــد عرفت نـــفس الفتـــرة نشـــر مـــادة لغـــوية هـــامـــة مـــن طـــرف ب. هـــارفاس (B. Hervas) الذي أنجـــز

Cataglogo des las lenguas de la naciones conocidas في ستة أجزاء (مدريد 1800 - 1805) وقدم الخطاب المقدس في أكثر من 300 لغة ولهجة من أمريكا وآسيا وأوروبا.

وبالاستفادة من كل هذه المجهودات ظهر أول عمـــل وصفـــي عـــام وكبير في بداية القـــرن 19 : (Le Mithridate) مـــن طـــرف ج. شـــر. أدلنغ (J.Chr. Adelung) ومن جاء بعـــده وأهمـــهم ج. س. فـــاتر (J. S. Vater) فقد أعطى صورة عن كل اللغـــات المعروفـــة في عمـــل يتكـــون من أربعة أجزاء (1806 - 1817) مع ذكر الأعمـــال الســـابقة. وأكمـــل الببلوغرافيا فيما بعد ج. س. فاتر و أعيـــد نشـــرها بعـــد ذلـــك (1847) من طرف ب. جيلـــغ (B. Julg).

يرتبـــط (Le Mithridate) بالأعمـــال اللســـانية الوصفيـــة للقـــرون السابقة عن طريق عنوانـــه وعـــن طريـــق إختيـــار الـــ Pater Noster كنموذج لغوي. وإذا كان هذا الإختيار لا يســـتجيب لمقتضيـــات العلـــم الحديث الذي يحبـــذ نصوصـــا <<عفويـــة>> وليـــس ترجمـــات لنـــص أحادي، فإنه بقي مع ذلك حتى القـــرن 19 مصـــدر مـــادة للمصنفـــات المتعددة اللغـــات.

وبغض النظر عن الترجمات المتعددة للنص المقـــدس، فـــإن ترجمـــات الكتب المقدسة تضاعـــفت. فجـــمعيـــة الإنجيـــل (La Société de la Bible) (The British and Foreign Bible Society) المؤسســـة عـــام 1804 أنجـــزت ترجمـــات للإنجيـــل في عـــدد مـــتزايد مـــن اللغـــات. واستطاعت أن تقدم عام 1954 نماذج لــــ 826 ترجمـــة.

إن المعطيات الجديدة التي تحصل عليها النحو المقـــارن خـــلال القـــرن 19 قيدت في أعمال وصفيـــة كبرى. فالأجزاء الأربعـــة الموســـومة بــــ : (Grundris der sprach wissensehaft) لــفريـــــــدريك ميلـــــر (fredrich Müller) والمنشورة في فينا بــــين 1876 و 1888 تعتـــبر مؤلفـــا وصفيا كبيرا ظهـــر بعد Le Mithridale لأدلنـــغ (الـــذي كـــان تبـــع في 1826 بجدول عام للغات هو "الأطلس الأثنوغرافي للعـــالم" لــــ أ. بـــالبي (A. Balbi). بـــاريس 1826).

ومنذ بداية القرن العشرين نشرت عـــدة أعمـــال وصفيـــة تجمـــع كـــل المعطيات التي تحصلت عليها اللسانيات مـــع تنظيمـــها بطـــرق تختلـــف حســـب منظـــور كـــل مؤلف : خـــاصة "لغـــات العـــالـــم" (ينظر البيلوغرافيـــا).

2 – ثراء التوثيق – اللغات الميتة

من بين اللغات التي لم تعد مستعملة، لغات تتمتع بتقاليد ثقافية، ولا زالت مفهومة ومعروفة بدرجة كبيرة حتى الآن، مثل الإغريقية واللاتينية. غير أن بعض الجوانب من دراستها أهملت لمدة طويلة. وبصفة عامة لم تحظ مفرداتها بدراسات شاملة ومنظمة مقارنة بالنحو : وهكذا تبقى الدراسة العامة لمفردات اللاتينية بحاجة إلى إنجاز.

لقد أثري التوثيق في العشريات الأخيرة بواسطة كثير من الحفريات التي كشفت وجود لغات ميتة مجهولة وحسنت معرفتنا بلغات وبعائلات اللغة المعروفة.

غير أن عملا خاصا باللغات الميتة المكتشفة يعتبر ضرورة لا بد منها بعدما أهملت لمدة طويلة. وهذه اللغات عرفتها لنا وثائق فقيرة خاصة منها النقوش. فهي تتطلب إذن، بالإضافة إلى الفهم، فك رموزها إذا كانت الكتابة غير معروفة. يمكن أن يكون هناك افتراض للمضمون عن طريق التحديد الأثري للشيء الذي يحمل الكتابة، وبالتالي يتم معرفتها بسرعة، خاصة إذا تعلق الأمر بحفل أو بجنازة، غير أنه يجب على اللساني أن يقرأ ويفهم النص بكل تفاصيله.

لقد نال أول فك للرموز شهرة واسعة : وهو يتعلق بالهيروغليفيات المصرية التي عرفت بعد قراءتها من طرف شامبوليون (Champollion) من 1822 إلى 1824. لقد بقيت النصوص الهيروغليفية ميتة لمدة 1400 سنة : فالكتابة الهيروغليفية (أي النقش

المقدس) التي تمــزج نقوشــها بالأشــكال المجســدة لأشــياء ورمــوز الأصوات المقيدة لعناصر صوتيــة (أصــوات أو مجموعــات أصــوات)، كانت وسيلة منذ الألفية الرابعة لكتابة اللغة المصرية القديمــة. وبعــد مــا حافظت على وظيفتها ككتابة ذات شأن، تلاشت تمامــا لتــترك المكــان لكتابات أخرى اشتقت منها، ثم للأبجديــة الإغريقيــة الــتي أتتــا بهــا المسيحية. وفي القــرن الــرابع من تقويمنــا أصبحــت غــير مســتعملة وغير مفهومــة.

هناك كتابات أكتشفت في 1799 تقدم نفس النص، وهــو عبــارة عــن مرسوم صادر في 195 قبــل الميــلاد بالمصريــة الحديثــة وبالإغريقيــة. فالنص المصري كتب بكتابتين، الكتابــة الهيروغليفيــة القديمــة والــتي لم تفك رموزها إلى اليوم والكتابــة الشــعبية المســتعملة في زمــن كتابــة النص، وهذا ما يسهل عملية فك رمــوز الكتابــة.

تطرح الرسومات المنقوشة التي لم يتم التعــرف عليــها بعــد ســؤالا أولا : هل يتعلق الأمر بكتابة حقيقية تسمح بمعرفــة اللغــة أم أن الأمــر لا يتعدى كونه كتابة رمزية وإســتحضارا لمفــاهيم وأشــياء وليســت تجسيدا لعناصر صوتية؟ كثير من الكتابــات تجمــع بــين رمــز الفكــرة ورمز الصوت. وما زلنــا إلى يومنــا لم نصــل إلى تفســير العلامــات الموجودة في جزيرة باك بالمحيط الهادي والتي اعتبرت، تعســفا، كتابــة.

وفيما يتعلق بفك الكتابات، يمكــن أن يــؤدي اللجــوء إلى طــرق رياضية خاصة اســتعمال الحســابات الإلكترونيــة، خدمــات جليلــة، سيما إذا كانت اللغة معروفة في جزء منها. وهذا مــا يســمح بالتــأكد السريع، عن طريق عدد كبير من التأليفــات، مــن فرضيــات القــراءة. وبهذه الطريقة تتقدم محاولات فــك رمــوز كتابــة مــا يــا (Maya) في أمريكا الوســطى.

إن أهم مجموعة للغات الميتة التي ضاعت تقاليدها والتي تتوقف معرفتها كليا على ترجمة الوثائق التي عرفت في وقت متأخر تتكون من لغات كانت مستعملة في أزمنة بعيدة في آسيا الصغرى القديمة وتسمى اللغات الآسيانية. وتظهر دراسة هذه اللغات جليا الصعوبات والموارد التي يجدها الباحثون في حالات مواد مشابهة.

إن وجود نص غير معروف ولكنه مقروء يرغب في الانطلاق من الشكل للوصول إلى المعنى، وذلك بتقريبه من أشكال مشابهة للغات معروفة يمكن أن تكون متقاربة. وهذه الطريقة التي تعتمد على تقارب افتراضي لا يمكن أن تصل إلا إلى فرضيات هشة. وقد وقعت فعلا، في الخطأ حتى في الحالات التي ثبت فيها التقارب المفترض. لقد قام ب. هروزني (B. Hrozný) بفك طريف للحثية (Hittite) وهي لغة مملكة في آسيا الصغرى ازدهرت في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد. فإنطلاقا من تبنيه أن هذه اللغة التي نقلتها الصفائح الموجودة في بوغاز - كاي (Boghaz - Keuy) بالأناضول هي لغة هندو - أوروبية، أعطى للفعل da معنى "أعطى" وهو يفكر في الأشكال المشابهة للفعل "أعطى" في اللغات الهندو - أوروبية الأخرى.

إن انتماء الحثية للعائلة الهندو - أوروبية أمر ثابت، و da يمثل في الحثية جذر الفعل الذي له في لغات أخرى معنى " أعطى " غير أن هناك نظيرا لفعل da في كلمة أكادية بمعنى " أخذ " أظهر أن اللغة الحثية بلورت معنى مخالفا لهذا الفعل.

وعلى العكس، يمكن للترجمة أن تتقدم بثبات إذا كانت الوسائل قابلة لعملية عكسية تتمثل في الانطلاق من المعنى لنص ما قصد تحديد قيمة عناصره. ويتحقق هذا حينما تتوفر لنا صيغة موازية (أو أكثر) في لغة معروفة لنص بلغة غير معروفة. بالنسبة لمزدوج اللغة

بأتم معنى الكلمة، يجب أن يضاف لوثيقة بصيغتين متوازيتين لنفس النص، مختلف الأشكال من <<أشباه مزدوجي اللغة>> التي يمكن أن تكون ذات أهمية. إن وجود عدد كبير من مزدوجي اللغات، وكذا ثلاثيي اللغات في آسيا الصغرى سهل عملية ترجمة اللغات الأساسية، وفي المقابل إن الغياب شبه الكلي لمزدوجي اللغات صعب دراسة اللغة الأترورية (Etrusque) المستعملة في أتروريا قبل أن تعوض باللاتينية.

إن اكتشافات القرن 20 دعمت العائلة الهندو - أوروبية بلغتين هامتين : الحثية المشار إليها سابقا والتوخارية المعروفة بنصوص مكتشفة في تركستان الصينية. إضافة إلى هذا فإن معرفة الميسينية (Mycénien) (ينظر ص 20) أثرى معلوماتنا حول المجموعة الهيلينية.

يمكن أيضا أن ننتظر الشيء الكثير من الحفريات المتواصلة في الشرق الأوسط.

• اللغات الحية

هناك حقل أوسع مفتوح لتوثيق من نوع آخر يهدف إلى جمع المعطيات حول اللغات الحية.

أعطت بعض الأحداث السياسية لبعض اللغات أهمية لم تكن لها من قبل. ففي الاتحاد السوفياتي وفي نفس الوقت الذي عم فيه تدريس اللغة الروسية، استعملت مختلف لغات شعوب الاتحاد في

تكوين هذه الشعوب، وهـــذا مــا أدى إلى نشــر بعــض الدراســات الوصفية التي كانت تنقص الكثير من هــذه اللغــات.

لقد تم الوعي بالضرورة المستعجلة لإجراء بعــض التحريــات. كمــا ينبغي التعجيـــل لإنقــاذ بعــض اللــهجات (Idiomes) الــتي لم تعــد مستعملة إلا من طرف مجموعات صغيرة مــن الأفــراد.

إن بعض اللغات تختفي بسبب الإبادة الــتي تتعــرض لهــا الشــعوب المستعملة لها. ففي أمريكا، في الوقت الذي تحتفظ فيــه بعــض اللغــات الهنديــة كالكيتشــوا (Kitchoua) والأيمــارا (L'Aymara) والغـــوراني (Guarani) في أمريكا الجنوبية بحيوية كبيرة، فــإن كثــيرا مــن اللغــات الأخرى مهددة بالزوال أو تتعرض لتطور ســريع. وتشــير الإحصائيــات إلى أن عدد هنود العالم الجديد قــدر بــ 000. 500. 15 في القــرن 16 ثم تضــاءل ليصــل إلى 12 مليونــا في القــرن 20. وكــان الانخفــاض محسوسا في أمريكا الشمالية. ومن جهــة أخــرى فــإن تأثــير اللغــات الأوروبية (الإنجليزية، الإســبانية، البرتقاليــة) غــير بشــكل محســوس اللغات المستعمرة التي بقيت مستعملة. لهــذه الأســباب كلــها ينبغــي مواصلة التحريات. ولئن كان هذا العمل متقدمــا في أمريكــا الشــمالية، فإنه في أمريكا الجنوبية متأخر بشكل محســوس. وهكــذا فمنــذ القــرن الماضي استغلت الفضاءات الواسعة من إفريقيا وأمريكــا وآســيا لغويــا بصفة مكثفة، ورغم ذلك فإن ما تبقى عمله كثــير خاصــة في إفريقيــا وأمريكا فدراسة اللغات المستعمرة في أســتراليا مــا زالــت في بدايتــها، كذلك الحال بالنسبة للغات البابو بغينيــا الجديــدة.

ومن جهة أخرى، فإنه في الوقت الذي تشــهد فيــه بعــض المنــاطق تقدما في التوحيــد اللغــوي بســبب التطــور الاجتمــاعي، تتقلــص

اللهجات المحلية شيئا فشيئا. ويقال اليوم أن اختفاء اللهجات الفرنسية سيكون مع نهاية القرن. غير أن هذا يحيلنا إلى انشغال آخر للسانيات الحديثة. فقد أصبح الاهتمام اليوم منصبا على تنوعات اللغات إذ أن اللغة ليست مجموعة متجانسة. ولهذا فالتفريق إلى أشكال مختلفة يحتوي على بعض السمات البارزة : <<النبر>> (في الشمال وفي الجنوب.الخ...) أو <<الكلمات المحلية>>. والواقع أن الفروق تمس كل جوانب اللغة : النطق، النحو، المفردات. وقد تكون هذه الفروق كبيرة لدرجة عدم التفاهم: فالباريسي لا يفهم بسهولة الليموجي المستعمل للهجته. لقد درجنا على استعمال كثير من الكلمات غير الدقيقة للدلالة على هذه التنوعات المحلية : (Parlers)، باتوا (Patois). لهجات (Dialectes). ولا يمكن في الميدان تجاوز الحدود الفاصلة بين مختلف اللهجات. ولا نمر من لهجة إلى أخرى مغايرة تماما إلا بوسائط. إلا أنه، ونظرا لكون كل تجزئة لمجموعات من الشعوب تقابلها تجزئة لغوية واضحة نسبيا فإننا نميز اللهجات (Dialectes)، مجموعات من الأداءات المحلية موحدة بواسطة سمات مشتركة تمكن مستعمليها من التفاهم بشكل مرض نسبيا. ومن جهة أخرى فإن أهمية هذه اللهجات تؤثر في كثير من الأحيان على تسميتها. فمن بين اللهجات التي كانت مستعملة في المقاطعات الفرنسية، والتي هي الآن في تراجع، لهجات الجنوب. إلى جانب تلك التي نشأت منها اللغة الفرنسية الوطنية. وقد عرفت هذه اللهجات تطورا أدبيا خاصا مما أعطاها أهمية وسمح للبروفنسال بالحصول على تسمية لغة.

نستعمل كذلك مصطلح **لغات** للدلالة على الألسنة الوطنية حينما تمثل وحدة (حالة غير عامة : ليست هناك لغة سويسرية ولا

لغة بلجيكية) وحتى وإن كانت الفروق بين لغتين وطنيتين غير معتبرة (وهي في بعض الأحيان أقل) على غرار لسانين موجودين في ظروف اجتماعية مختلفة ويطلق عليهما لهجات (Dialectes) وهكذا نتكلم عن اللغة التشيكية واللغة البولونية رغم أن التفاهم بينهما ممكن.

هناك عوامل خارج - لسانية تدخل في تسميات التنويعات التي يمكن تمييزها داخل اللهجات : فتسمى حينئذ باتوا (Patois) وغالبا ما تكون في المجموعات الريفية. وتستعمل كلمة تأدية (Parler) بصفة عامة للدلالة على تنويع لغوي ذي توسع محدود.

ليست الفوارق المحلية هي السبب الوحيد. فيجب كذلك أن ندرس تطور اللغات الأدبية والتقنية والدينية وكل التنويعات التي يمكن أن تنشأ من جراء ما يطرأ على بنية المجتمعات (ينظر ص 127 وما يليها). وبتقييد اللغات الحية في تطورها حاضرا، وبتنويعاتها نكون قد توصلنا إلى معرفة بدء التطورات الجديدة. فالأدب والصحافة والاستعمالات اليومية للغة تشكل سندا هاما للملاحظ المتأني. ويجب أن تشكل الملاحظة بالنسبة للغوي اهتماما دائما.

لقد حظيت دراسة لغة الطفل بكثير من التحريات التي تم القيام بها في الإطار العائلي الذي يسمح بملاحظة دائمة لتعلم اللغة. وسمح تدوين المعطيات الملاحظة وبعض الاستخلاصات في هذا المجال، الذي يلتقي فيه اللسانيون وعلماء النفس، من الوصول شيئا فشيئا إلى معرفة أكثر دقة للمراحل المتتابعة التي ينتقل الطفل من خلالها من مرحلة استهلال الطفل إلى لغة الكبار.

3 – الحوصلة الحالية

كيف تبدو اليوم نتائج هذا العمل التوثيقي كمـــا وكيفـــا؟

من الصعب القيام بإحصاء اللغات المعروفة اليـــوم. وهـــذه الصعوبـــة ذات طابع نظري أولا. فكلمة لغة تغطي حقيقـــة معقـــدة، وليـــس مـــن السهل مثلما رأينا تحديـــد دلالـــة الفـــروق بـــين اللغـــات واللـــهجات والأداءات المحلية المختلفة. فمعنى اللغـــــة المتغـــير لا يســـمح باســـتعمال مقياس ثابت، كما أن مفهوم الأداء المحلـــي الـــذي يســـتدعي الفـــوارق المختلفة لا يمكن أن يشكل قاعدة لعمل إحصـــائي. ومـــع ذلـــك، فأيـــا كان المقياس المعتمد، فإن نقص توثيقنا بالنسبة لميـــادين واســـعة ومعقـــدة لغويا مثل إفريقيا وأمريكا يمنع من القيام بإحصـــاء دقيـــق. وعليـــه فـــإن الإحصائيات لا يمكن لها أن تستند إلا على المفـــهوم العـــام لــــ لهجـــة (Idiome) الذي يلغي اللهجات المحليـــة. ويمكـــن علـــى هـــذا الأســـاس اعتبار التقديرات التي تعطى للعالم ما بـــين 2500 و 3500 لهجـــة مقبولـــة نسبيا.

نجد في هذا العدد لغات لا تتساوى من حيث الأهميـــة. فمـــن خـــلال إحصائية نشـــرها ل. تانيـــار (L. Tesniere) عـــام 1928 يتجلـــى أن 29 لغة فقط كانت مستعملة من قبل أزيد مـــــن عشـــرة ملايـــين شـــخص (تأتي الصينية في المقدمة). وعدد اللغـــات ذات الثقافـــة أقـــل إرتفاعـــا. ولا يوجد فيما يبدو سوى خمســـين لغـــة ذات أدب هامـــا كـــان أم لا. واللغات التي تعتبر معرفتـــها هامـــة مـــن حيـــث توســـعها أو إنتاجـــها المكتوب لا تمثل سوى نصف هذا الرقم. لقد كـــان لحركـــة القوميـــات

في القرن 19 دور في إزدهـــار لغــات مثــل التشــيكية. وأدى إنشــاء الجمهورية الأندونيسية في أيامنا، إلى تركيب لغـــة أندونيســية، انطلاقـــا من شكل من أشكال المالية، لتكـــون لغــة حضــارة لـــ 70 مليــون شخص. وسمح قيام دولة اسرائيل كذلـــك بانطلاقـــة جديـــدة للعبريـــة. ويبدو أن الهندية (Le Hindi) أصبحت اللغة الوطنيـــة للـــهند الجديـــدة. وأصبحت الهاوسا والسواحلية في إفريقيـــا لغتـــين حضـــاريتين هـــامتين لأكثر من 10 ملايين شـــخص.

بقيت لنا لغات قليلة معروفة وغـــير مفهومـــة. ولكـــن الصعوبـــات تتعلق باللغات المندثرة. ففي العائلة الهنـــدو - أوروبيـــة لا تـــزال بعـــض المشاكل المتعلقة بالفهم مطروحة. فقد وجد في منطقـــة البلقـــان والبحـــر الأسود المجموعة التراسية - الفريجيـــة (Thraco - Phrygien) وهـــي غـــير معروفة جيدا. فاللغة التراسية لا تشهد عنـــها ســـوى كتابـــات قليلـــة لم يتأكد بعد من دلالتها. أما الكتابة الإيبيرية فهي تقرأ اليـــوم جيـــدا غـــير أن لغة الإيبيريين، وهم قوم اســـتقروا في شـــرق إســـبانيا وفي الشـــمال على الساحل المتوسطي حتى الرون قبل الغـــزو الرومـــاني، بقيـــت غـــير مفهومة. ولا زالت كذلك اللغة قبـــل الهيلينيـــة لجزيـــرة قـــبرص غـــير مفهومة جيدا إلى الآن. ونفس الحال بالنسبة لبعـــض الكتابـــات في آســـيا الصغرى. والمثل المشهور هو اللغة الأترورية : فرغـــم معرفتنـــا للأبجديـــة الأترورية، إلا أن معرفة اللغة، رغـــم محـــاولات متكـــررة، لم يتجـــاوز مستوى تحديد بعض الخطـــوط العامـــة للبنيـــة وتحديـــد مجموعـــة مـــن المفردات. ورغم التقدم المهم، لم تفك رموز بعـــض الكتابـــات بشـــكل مؤكد إلى اليوم: نقرأ ونفهم اليوم بعـــض الكتابـــات لجزيـــرة كريـــت (وكذلـــك بعـــض الكتابـــات لليونـــان : بيلـــوس Pylos) وميســـان (Mycenes) التي يعود تاريخها إلى الألفية الثانيـــة قبـــل الميـــلاد إذ عرفنـــا

شكلا للإغريقية يسمى المسينية (Mycénien). لقد تم التعرف على كثير من اللغات المندثرة بوثائق فقيرة. ومن بين اللغات الكثيرة التي اندثرت في آسيا الصغرى القديمة نجد العديد منها غير مثبت بشكل جيد والبعض مترجم بصفة رديئة.

يتوزع توثيقنا في الزمن توزيعا غير متساو. فأقدم لغة مكتوبة نعرفها هي اللغة السومرية التي تمتد أول آثارها المكتوبة إلى حوالي 3500 ق.م في بلاد السومر جنوب بابل في الحوض الفارسي. وتعرفنا كثير من النصوص بهذه اللغة التي بقيت، بعد غزو البلاد من طرف شعوب سامية تتكلم اللغة الأكادية، لغة راقية حتى إقتراب تقويمنا. واللغة الأكادية نفسها عرفت في الألفية الرابعة واستمرت حتى العهد المسيحي. كذلك الحال بالنسبة للمصرية إذ يبدأ تاريخها في الألفية الرابعة. ونستطيع تتبع تطور هذه اللغة (وفي نفس الوقت نظامها الكتابي) حتى المصرية الحديثة أو القبطية التي نافستها العربية ابتداء من القرن السابع الميلادي فتقلصت شيئا فشيئا لتصبح لغة طقوسية لمسيحيي مصر.

ويبدأ تاريخ الحثية ولغات آسيا الصغرى القريبة منها في الألفية الثانية. وعلى العكس من ذلك، فإن الصينية، المعروفة بنقوش من الألفية الثانية والتي تمتد آثارها الأدبية إلى الألفية الأولى قبل الميلاد، واصلت تطورها إلى أيامنا وأنتجت أهم أدب في آسيا. وظهر كذلك في الألفية الأولى قبل الميلاد أول النصوص التوراتية.والآداب المهمة للهند (السنسكريتية) وللعالم اليوناني (الأشعار الهوميرية). ونستطيع إذن أن نتتبع على مدى زمني طويل تطور لغة هامة بالنسبة لتاريخ الحضارة كاليونانية التي ما زالت حية إلى يومنا. ولكن يمكن

أن يتميز تاريخ لغة ما ببعض العيوب رغم أهمية وثـراء وثائقـها. مثـال ذلك حال اللغة اللاتينية التي عرفت، بخروجـها مـن ميدانها الإيطـالي الأصلي الضيق عن طريق التوسع الروماني، تحـولات عميقـة في مختلـف أنحاء الإمبراطورية لتظـهر بذلـك لغـات جديـدة عرفـت باللغـات الرومانية (أساسا الفرنسية، الإيطالية، الإسـبانية، البرتقاليـة، الرومانيـة) وهذه اللغات لم نعرفها إلا منذ عهود قريبة نسـبيا. فـأول نـص هـو وثيقة فرنسية من القرن 9 الميلادي (معـاهدة ستراسـبورغ). إن اقتصـار الكتابة على اللاتينية الأدبية ضمـن الأشـكال اللاتينيـة الـتي تنحـدر منها هذه اللغات. ووثائقنا بالنسـبة لكثـير مـن المجموعـات اللغويـة الأوروبية ليست قديمـة كثـيرا : فـأول النصـوص المهمـة في اللغـة الجرمانية تمتـد إلى القـرن الرابـع، وفي السـلافية إلى القـرن التاسـع الميلادي. وإذا بدت هذه الشواهد حديثة فذلك مقارنة بمـا نعرفـه عـن لغات أخرى من العائلـة الهنـدو - أوروبيـة كالحثيـة والسنسـكريتية واليونانية. ووجودها يخلق مع ذلـك وضعيـة متمـيزة حينمـا نضعـها بالموازاة مع هذه المجموعة الهائلـة مـن اللغـات المسـتعملة في الأقـاليم الواسعة لإفريقيا وأمريكـا وبعـض الأجـزاء مـن آسـيا أو في جـزر اوقيانيا. فهناك تنقص الوثـائق القديمـة في معظـم الأحيـان. و لم يبـدأ التحري الجدي إلا مع تطور البعثـات الدينيـة وخاصـة الاكتشـافات العلمية منذ القرن الماضي. ومع ذلك يبقى عمل كثير ينتظـر الإنجـاز.

يبدو التوثيق اللساني، بالإضافة إلى تنوعه الزمـني والكمـي، متنوعـا جدا من حيث الكيـف.

يتمثل عيب اللغات المعروفة عن طريق نصوص فقط في كونها لا تكشف إلا بعضا من جوانبها. فالأدب اللاتيني، رغم امتداده في الزمن يعكس وحدة نسبية ناتجة من استمرار لغة أدبية : اللاتينية المنطوقة التي تفرعت منها اللغات الرومانية لا يمكن فهمها بسهولة كما رأينا. فبعض المؤلفات فقط (بلوت (Plaute)، بترون (Pétrone) خاصة) تمكن من أن نستشف بعض الخطوط. وفي نفس الوقت فإن الكتابة ذات الطابع المحافظ تخفي تطور النطق كما تخفي اليوم نطق الفرنسية أو الإنجليزية. وبالنسبة للغات التي لم يتم إثباتها كلية، فإن النصوص، التي هي في الغالب عبارة عن نقوش، غير متنوعة كثيرا، بينما نصيب أسماء الاعلام الذي لا يفيد كثيرا، معتبر.

إضافة إلى هذا فقد رأينا سابقا ما تعكسه الوثائق المكتوبة من صعوبات في الترجمة : فنظام الكتابة الدقيق نسبيا، والمعروف إلى حد ما بشكل كلي يبقى بعض الجوانب الغامضة في اللغة. ومن جهة أخرى وبالنسبة للغات التي تعرف نصوصها عن طريق مخطوطات تختلف زمنا ونوعية، تبقى اللسانيات رهينة الفيلولوجيا، التي هي دراسة الوثائق المكتوبة عموما ودراسة النصوص وتبليغها خصوصا.

واللغات الحية هي وحدها المؤهلة لتحر دقيق وشامل بواسطة اللجوء إلى المصادر الشفهية.

لقد تمت معاينة اللغة المنطوقة في الماضي، ولكن بدون الصرامة اللازمة. واللغات غير المكتوبة، التي اندثرت اليوم، والتي جمعت حولها معطيات إلى حد ما قديمة عن طريق السماع غير معروفة جيدا. ذلك هو حال اللغات التاسمانية (Tasmaniennes) التي كانت

مستعملة في جنوب استراليا في الجزيرة المسماة تاسمانيا. ثم ماتت كلية نحو سنة 1875 بعد نصف قرن من التصفية التدريجية للناطقين بها : وهي ليست معروفة إلا عن طريق وثائق فقيرة ورديئة جدا.

أما في أيامنا هذه فقد اكتسبت معرفة اللغة المنطوقة أهمية جديدة، خاصة كرد فعل ضد الصورة المشوهة للغة التي تعمل على نشر تقاليد تعليمية موجهة نحو الكتابة بدل الحقيقة المنطوقة : وهكذا ينصب الاهتمام اليوم على الأشكال المختلفة للفرنسية المنطوقة / الأشكال الجهوية - التي يجب تمييزها عن اللهجات المحلية من نوع الباتوا (Patois) - أو الأشكال المطابقة لأوساط اجتماعية وثقافية معينة.

ب - إجراءات البحث

1 - التحريات

هناك تحريات لغوية متواصلة بحيوية في أيامنا، وذلك لتعريفنا بلغات جديدة جمعت من مناطق اكتشفت تدريجيا وكذا لتدقيق معطاياتنا حول كل تنويعات اللغات الموجودة.

لقد تم إعداد طرق تحريات صارمة، وأعطيت تعليمات مفصلة للباحثين في المستقبل، الذين يملكون استبيانات لغوية. فبالإضافة إلى الظروف التي يتم فيها التحري (تكوين تقني، تجهيز مادي، استعدادات المتحري، اختيار المخبرين.الخ...) يتطلب تسجيل

المعلومات المتحصل عليها الاعتماد المسبق على نظام تدوين صوتي واضح منسجم وعملي.

لقد أدى الحرص على تحديد الفروق المحلية إلى نشوء الجغرافيا اللغوية. إن أول " **أطلس لغوي لفرنسا** " " Atlas linguistique de france " أنجزه جيليرون (Gillieronn) وأدمون (Edmont) (1900 - 1912) نتيجة تحريات بدأت عام 1897 والجامع لما يقرب من ألفي خريطة، يعتبر نقطة الانطلاق بالنسبة للجغرافيا اللغوية.

وقد شرع حديثا في إنجاز الخرائط اللغوية في بلدان متعددة. وحظيت الدراسات المتعلقة بالجغرافيا اللغوية باهتمام كبير كان من نتيجته ظهور "**بلوغرافيا الجغرافيا اللغوية**" (Bibliographie de Géographic Linguistique) لـ ج. شرينن (J. Schrijnen) ابتداء من 1933. ويجري الآن في فرنسا إنجاز أطلس جديد مقسم إلى أطالس جهوية، وقد تضاعفت فيه بشكل محسوس كثافة نقاط التحري.

يتمثل العمل في جمع الأجوبة المتعلقة باستبيان معد مسبقا وذلك في أكبر عدد ممكن من النقاط ثم تنقل هذه الأجوبة على بطاقات منفصلة لكل حالة. وبهذا تظهر مختلف مناطق وقائع اللغة التي كانت موضوعا للتحري: وقائع صوتية، صرفية، تركيبية أو معجمية. ففي مجال المفردات مثلا يعرف اسم "Abeille" (نحلة) عددا كبيرا من التنويعات : بين "é" في الشمال ممثلا الكلمة اللاتينية "Apis" و "Abelho" في الجنوب. وقد سجلت "Essette" في الشرق

و "Mouche à Miel" في أورليـــون و "Avette" في آنجـــو ويســـــمح تصفح موقع المناطق بطرح فرضيـــات حـــول تـــاريخ هـــذه التســـميات وحول توسعها أو زوالها. وبهـــذا حـــاول جيلـــيرون (Gillireon) إعـــادة بناء أصل الكلمات الدالـــة علـــى النحلـــة Généalogie des mots qui l'abeille désignent (1918).

يجب أن تأخذ الاستبيانات بعين الاعتبار الســـمات الحضاريـــة. ففـــي لهجات المناطق الفلاحية هناك تسميات متعددة لمـــا يعـــبر عنـــه رجـــل المدينة للدلالة على Meule (الطاحونـــة)، فالتســـمية تختلـــف بـــالنظر إلى تعلق الأمر بالقمح أو العلـــف وبطاحونـــة موضوعـــة في الحقـــل أو في المزرعة الخ... وفي منطقة تربية الحيوان تأخذ الكلمات الـــتي تـــدل علـــى الحيوانات الأليفة بعين الاعتبار الفروق في الســـن والوظيفـــة الخ...

وفي المجموعات المحليـــة، يجـــب الأخـــذ بعـــين الاعتبـــار الفـــروق الاجتماعيـــة والفـــروق بـــين الأجيـــال. لقـــد درس القـــس روســـلو (Rousselot) **التغيرات الصوتية للغة في لهجـــة عائلـــة مـــن ســـالفروان (شـــلرنت)**

Les modifications phonétique du langage...dans le patois d'une famille de cellefrouin (charente). وذلك في فـــترة زمنيـــة (نهايـــة القرن 19) كان الشيوخ فيها ينطقون اللام اللينـــة (L. Mouillé) بينمـــا لا ينطقه الصغار. وتسمح ملاحظات مـــن هـــذا النـــوع بتوضيـــح دور الأجيال في تطور وقائع اللغـــة.

لقد حاول البعض تطبيق الجغرافيـــا اللغويـــة علـــى اللغـــات الميتـــة (محاولة ج. شرينن (J/ Schrijnene) بالنســـبة للإيطاليـــة القديمـــة). غـــير أن التحريات، عموما، لا تكون تامـــة ولا دقيقـــة.

2 – استعمال الوسائل التقنيـــة.

لقد وفر التقدم المادي للسانيات وسائل بحـــث جديـــدة.

فقد مكن التمثيل البياني للكـــلام بواســـطة إجـــراءات مختلفـــة مـــن الوصول إلى معرفة أكثر دقة بإنتـــاج الأصـــوات. ثم تعويـــض التقديـــر النوعي المحض للأذن، والذي كثيرا ما يكون خاطئا، بقيـــاس دقيـــق.

فالصوتيات الإختبارية أرست مبادئها في القـــرن 19. فقـــد اعتـــبر أ. ماييه (A. Miellet) في درسه الافتتـــاحي للنحـــو المقـــارن في الكوليـــج دي فرانـــس (College de france) عـــام 1906، إدراج القيـــاس في الصوتيات " بداية ثورة صغـــيرة ". وهـــذا التقـــدم جـــدد الدراســـات الصوتية وأدى إلى خلق المخـــابر المتخصصـــة مثـــل معـــهد الصوتيـــات لبـــاريس.

كان المـــواج (Kymographe) هـــو الجـــهاز الكلاســـيكي الـــذي يسمح بالتقاط وتســـجيل الاهـــتزازات المطابقـــة لحركـــات الأعضـــاء ولتيار الهواء الفموي والأنفي ولاهـــتزازات الحنجـــرة.

وتسمح الحنكيـــات (Palatographie) بتثبيـــت إثـــر الاحتكاكـــات الذولقية علـــى أحنـــاك اصطناعيـــة موضوعـــة في أفـــواه الأشـــخاص. ويكمل اليوم التصوير الشمسي والتصوير الإشـــعاعي فحـــص وضعيـــات وحركات الأعضـــاء.

لقد ظهرت <<ثورة>> جديدة نتيجة التطور الحديث في الصوتيات الفيزيائية وعوضت الكهرباء الفيزيائية آلات الديابازون (Diapasons) التي مكنت من القيام بتحاليل مهمة في القرن 19 بالتأليف بين الميكروفون والمهزاز المهبطي وأنظمة مختلفة للمرشحات. وتترجم البيانات بواسطة تحاليل رياضية. لقد مكن جهاز الكتروني صنع في الولايات المتحدة في البداية لتعليم الصم، من إنتاج صور طيفية لها أهمية كبيرة بالنسبة للصوتيات. وهكذا ظهرت البنية الفيزيائية للأصوات)التواتر والشدة) في شكل صور طيفية مع تركيبات للظلال والبيانات تعطي لكل صوت صورة مميزة. وتم تحقيق خلاصة الصوت، انطلاقا من هذه الصور الطيفية بطريقة عكسية مما يسمح بإجراء تجارب حول ظروف إدراك الأصوات. ونشأت بذلك **صوتيات تجريبية** حقيقية تكمل الصوتيات الاختبارية القديمة، المسماة جزافا، التجريبية.

وفي النهاية، فإنه تم تسجيل الكلام البشري وحفظه وإعادة إنتاجه بواسطة الشريط الناطق وحديثا بواسطة المسجل. وهكذا تم تكوين أراشيف للكلام. ويوجد في باريس متحف للكلام والإشارة (Musée de la parole et du geste).

وفي مجال المعجم، يسهل اللجوء إلى وسائل ميكانوغرافية عملية الفرز والتحريات بشكل كبير. وتستغل هذه الوسائل في فرنسا من طرف مراكز بحوث المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS)(ذخيرة اللغة الفرنسية في نانسي).

3 – الإحصاء في اللســـانيات

يميل اللســـانيون شـــيئا فشـــيئا إلى تطويـــر اللجـــوء إلى العـــد وإلى استعمال الإحصائيات في دراسة كل وقـــائع اللغـــة.

فالتقديرات النوعية المحضة أو الكميـــــة العامـــة (تحديـــد الكـــثرة أو القلة) لا تكفي. فالعد يهم كل جوانـــــب اللســـان. مـــن الفونولوجيـــا (عدد وتوترات الفونيمات في لغـــة مـــا) إلى الـــتركيب (مثـــلا التواتـــر النسبي لمختلف الوضعيـــات الممكنـــة للعنـــاصر المكونـــة للجملـــة) إلى المعجم (إحصائيات تبين التوسع المرتبط بالحاجة الـــتي يمكـــن أن يلبيـــها المعجم) إلى الأسلوبية التي سعت إلى الأخذ بقـــاعدة إحصـــاء التواتـــرات المختلفة للاستعمالات الممكنة للغة كقاعدة تقدير الوقـــائع الفرديـــة.

اقتضت بعض الاحتياجات أهمية اللجـــوء إلى الإحصائيـــات: تحضـــير لغات إضافية عالمية، والحرص على تبســـيط لغـــات أوروبيـــة لنشـــرها (الإنجليزية، الفرنسية) لأن استعمالها غطـــى مســـاحات تســـتعمل فيـــها لغات الأهالي المتعددة : فإذا كـــانت **لـــلانجليزية الأساســـية** أســـس منطقية، فـــإن الفرنســـية الابتدائيـــة (Elémentaire) حـــددت بطريقـــة إحصائيـــة.

ويجـــب الإشـــارة أيضـــا إلى اهتمـــام اللســـانيين المـــتزايد بنظريـــة المعلومات. فكل جانب يحوي كمية من المعلومـــات تختلـــف بـــالنظر إلى

احتمال وتوقعات العناصر الموجودة فيه. غير أن احتمال الأدلة اللغوية مرتبط بتواترها. فكلما كان التواتر كبيرا لاحتمال عنصر ما (كلمة، وحدة صوتية) كلما كان أقل إخبارا. إن ميل اللغة إلى الاقتصاد يعني تحقيق أكبر قدر من المعلومات بأقل ما يمكن من الجهد.

وفي النهاية، وفي إطار التطور الحديث <<للسانيات رياضية>> يتدخل تطبيق المنطق الرياضي الذي تستعمل أنظمتة الصورية في تجريد النحو. وتم هذا التطبيق بواسطة الأعمال المنجزة في إطار الترجمة الفورية بأجهزة ترجمة. ولم تؤد إلا إلى نتائج مخيبة. غير أن اللجوء المتزايد إلى الحواسيب في البحوث اللسانية زاد من أهمية التوجه نحو التجريد.

الفصل الثاني

اللسانيات الوصفية

تهدف اللسانيات الوصفية إلى وصف كل الألسنة التي يطالها البحث.

إن جمع المواد الناقصة لا يكفي. فاللغة عبارة عن نظام يجب معرفة خاصيته الاقتصادية وهي أيضا عبارة عن مؤسسة يجب تحديد إطارها. ولا يمكن القيام بدراسة تاريخية ولا بدراسة تصنيفية للغة ما دون وصف دقيق ومحدد. ولا تتحقق عمليات الوصف الجيدة إلا إذا راعت اللسانيات الوصفية كل جوانب موضوعها واعتمدت في مقاربته على منهجية صارمة.

لقد وجد في السابق تراث وصفي يتعلق بالحالة ما قبل العلمية لدراسة اللغات. فقد حلل نحاة الفترة اليونانية - الرومانية اللغتين اليونانية واللاتينية بناء على قواعد منطقية. فقد بدت اللغة كوسيلة منطقية تتكيف والمقولات العامة للفكر. ونتج عن هذا أنه يمكن وصف كل اللغات بنفس الطريقة. لقد كان استمرار تعليم اللاتينية في الغرب وثبات النحو العام حتى العصر الحديث سببا في الإبقاء على طريقة وصفية خاطئة ساهمت في تشويه حقيقة لغات مثل الفرنسية. ورغم تطور اللسانيات بقي النحو الفرنسي متأثرا بعمق بهذا النمط من التفكير. فالفرنسي ذو التكوين

الجيد قاصر عموما عن معرفة عدد أصوات وصوامت لغته وقاصرا عن معرفة كيفية وسم لغته للمقابلات على مستويي الجنس والعدد. فهو يجيب إجابة إملائية على أسئلة تتعلق بالبنية. كما أنه لا يدرك أن هناك لغات لا تميز بين الاسم والفعل.

حين يتعلق الأمر بوصف لغات غير هندو - أوروبية تنتمي لعائلات مختلفة، ولنا حولها معلومات جيدة، يصبح اختيار طريقة وصفية مبنية على أسس لسانية أمرا مفروضا. لقد استفادت بعض اللغات غير الهندو - أوروبية من تراث نحوي محلي يرتكز على إحساس اللغة لدى الناطقين بها. ولكن أمام اللغات المكتشفة حديثا، أو التي لم تخضع لوصف مقبول، لا توجه التحليل أية معرفة مسبقة.

فاللسانيات الوصفية لا زالت تبلور طرائقها ولكننا رغم ذلك نستطيع من الآن صياغة بعض المبادئ بناء على الخصائص العامة للغات.

أ - خصائص اللغة

الوصف هو دراسة آنية تتعلق بحالة معينة للغة وفي زمن معين. هذه الحالة محددة بخصائص خارجية وداخلية.

1 - الخصائص الخارجية :

تعرف اللغات أولا ببعض الخصائص الخارجية، انطلاقا من الجماعات التي تتكلمها، والتي تحدد توسع مجالها وطبيعة وظائف

العلاقات التي تقيمها وانتشارها إلى عدد معتبر من المتغيرات الداخلية، وعلاقتها ببعض أشكال الحضارة المادية والمعنوية.

هناك **اللغات الوطنية** التي تعتبر الوحيدة التي يمكن تحديد توسعها بدقة لأن حدودها تطابق الحدود السياسية. فالفرنسية باعتبارها لغة وطنية لها حدود التراب الذي تسكنه الأمة الفرنسية. غير أن الحالة أعقد بالنسبة لوجود الفرنسيين خارج التراب الفرنسي. قد تكون نفس اللغة مشتركة بين أمم عديدة : فالإنجليزية هي اللغة الوطنية لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية. كما قد تكون هناك عدة لغات لأمة واحدة : مثال ذلك بلجيكا وسويسرا.

غير أن وجود لغة وطنية لا يلغي وجود تنوعات جهوية مختلفة نسبيا. لقد سبق لنا أن رأينا أهمية وتعقيد مفاهيم مثل : Dialecte (لهجة) وباتوا (Patois) (لهجات تستعملها طبقات شعبية محدودة الثقافة والحضارة) و Parler (تنوع لهجي). قد نجد أحيانا جزءا من الأمة يتكلم لغة تختلف كليا عن تنوعات اللغة الوطنية : مثلا تمتلك مقاطعة " لابروتان " في فرنسا مجموع اللهجات المسماة بروتون وهي لغة سلتية (بجانب اللغة الوطنية التي تتوسع).

ومن الصعب إذن تحديد المجال الجغرافي للسان ما. كما يجب الأخذ بعين الاعتبار وجود متكلمين مزدوجي اللغة كما أن تعداد متكلمي لغة ما ليس أقل صعوبة.

يمكن للتقسيمات الدينية أن تظهر على المستوى اللغوي : فقد أصبحت اللهجة اليهودية - الألمانية أو **يديش** (وهي في الأصل لهجة

ألمانية كانت خاصة بيهود ألمانيا في البداية) لسانا مشتركا للطوائف اليهودية المنتشرة من البلطيق إلى البحر الأسود. بل تم نقلها حتى للولايات المتحدة.

وفي الحالات التي يتم فيها التخاطب بين مجموعات مختلفة لغويا، نلاحظ تشكل **لغات العلاقة** والمسماة أيضا **لغات التواصل** أو **اللغات البديلة** يمكن تبني اللغة العادية لمجموعة من المجموعات الموجودة في علاقة، أو استعمال ألسنة بدائية نسبيا. وحتى في الحالة الأولى هناك عموما تبسيط للغة في الاستعمال التجاري : مثال ذلك اللغة المالية (Le Malais) التي تستخدم كلغة تجارية في الجنوب الشرقي الآسيوي.

لقد شكلت الإنجليزية بنحو مبسط وبمفردات محرفة صوتيا قاعدة لـ **Busness = Pidgin Pidgin – English** محوره : <<انجليزية الأعمال>> الذي تكون في الشرق الأقصى حيث تتداخل عناصر مختلفة، خاصة الصينية منها. لقد تكونت هناك <<**بيدجينات**>> في مختلف أنحاء العالم مثل **البيتش لامار** (أو بيش لامار، باش دومار كلمة ذات أصل غامض) في المحيط الهادي، وهي عبارة عن خليط من الإنجليزية والمالية، الخ... لقد أدى الاستعمار الأوروبي، حينما جلب معه سود إفريقيا إلى الدول المستعمرة إلى تكوين لغات **كريول**، ذات قاعدة فرنسية وإسبانية، الخ...محورة. وهي لغات مستعملة في الوقت نفسه من طرف المعمرين وعبيدهم السود.

نطلق أيضا كلمة سابير، و Lingua – Franca (كلمات كانت تنطبق في الأصل على ألسنة مكونة أساسا من عناصر رومية، إيطالية

على الخصوص، واستعملت قديما على الشواطئ المتوسطية) على ألسنة علاقات تتميز بمفردات محدودة وبنحو بدائي. كما نتكلم أيضا عن **لغات** تجارية، خاصة في بعض مناطق أمريكا : الموبيلية أو الشينوك في أمريكا الشمالية حيث أن مفرداتها الأساسية مكونة من عناصر هندية (من الهنو د الحمر).

ينبغي التمييز أيضا بين الألسنة الخاصة لمختلف الطبقات الاجتماعية المتميزة نسبيا حسب المجتمعات (ألسنة الطبقات الشعبية، المجتمعات السرية، الألسنة المميزة بين الرجال والنساء).

تتميز بعض المجموعات عن طريق استعمالها لـ أرغوات Argots ذات مفردات خاصة وتعرف (م. كوهين) على أنها <<ألسنة طفيلية>>؛ هناك أيضا <<امتدادات للسان العادي>> تتطلبها احتياجات خاصة مثل **اللغات التقنية**. أما اللغات الأدبية فقد تم التعرض لخصائصها. لقد اقترح م. كوهين استعمال كلمة لغات <<في الحفظ>> للغات مثل اللاتينية التي تم الإبقاء عنها مجمدة في استعمالات خاصة وذلك بعد اندثارها كلغة حية.

وفي الأخير هناك حالة خاصة تتعلق باللغات المصنوعة (المفبركة) لغرض استعمال عالمي مثل الإسبرنتو؛ فكونها **لغات مصطنعة وثانوية** يعطيها مكانة خاصة.

2 ـ الخصائص الداخلية :

تتكون كل لغة من عناصر تتوزع على عدة مستويات.

أ ـ الأصوات والمصوتات

يعرف الجانب المادي للغة على أنه تنسيق بين الأصوات الناتجة عموما عن اهتزاز الهواء القادم من الرئتين أثناء عملية التنفس. وتستعمل بعض اللغات طقطقات تحصل بمعزل عن التنفس. وذلك بعملية تشبه المص.

لقد أصبح إصدار عدد كبير من الأصوات ممكنا بواسطة العمل المنسق والمعقد للأوتار الصوتية وغشاء الحنك واللهاة واللسان والحنك السفلي والشفتين. تتخذ الأوتار الصوتية، وهي نوع من الشفاه ذات غشاء مطاطي، مواقع متغيرة في الحنجرة. فقد تطبق على الجوانب أو تقترب منها، مقلصة من مرور الهواء أو تهتز مؤثرة على مسار الهواء، محدثة اهتزازات متقطعة ينتج عنها صوت موسيقي، نغمة حنجرية. يحتوي الجهاز الصوتي إضافة إلى هذا المقوي، على مدويات مكونة من جيوب يتغير حجمها وشكلها حسب موقع الأعضاء المعنية خاصة الغار الحلقي - الفموي المقسم إلى غرف متغيرة والغار الأنفي الذي يسد حينما يرتفع غشاء الحنك.

فعملية **التصوت** أو إصدار الأصوات منظم إذن بعوامل متعددة تحدد بعض الصفات التمييزية للأصوات.

وتحدد في إطار المقطع العناصر التي لها وظائف مكملة، الصوائت والصوامت. هناك انفتاح كبير نسبيا في القناة التي يمر منها الهواء أثناء إصدار الصوائت، وهناك طريق مختلفة للانغلاق الشديد نسبيا أثناء إصدار الصوامت. هناك منطقة حدود تبرر كلامنا عن **أنصاف الصوامت** : فالتغيير الطفيف في النطق يؤدي بالنسبة للصوائت الأكثر انغلاقا إلى تحقيق صامت : فالحرف I مثلا يرمز للصائت (i) في Cil ولكن إلى صامت y في Aieux (Ayö) أو Bien (Byê). إن الصوائت وأنصاف الصوائت عموما مجهورة، أي أن إصدارها يحتوي على اهتزاز في الأوتار الصوتية. يمكن أن تكون الصوامت مجهورة أو مهموسة)ليس هناك اهتزاز في الأوتار الصوتية) : t مهموس و d. هو نظيره المجهور.

إن لأصوات الصوائت صفات خاصة أو **أجراس** وذلك حسب التغيرات التي تحدث في الجهاز الصوتي : مواقع مركبة للسان (الذي يبقى ممدودا أو يرتفع نسبيا حسب الأعلى أو نحو مؤخرة الحنك) والشفتين (موقع وسط منجذب للأمام وللخلف) نميز خاصة **درجات الانفتاح** أي انفتاح (القناة المتروكة حرة) **وجهات النطق** (حسب جهة الحنك التي يرتفع اللسان نحوها نسبيا). نتكلم عن صوائت **مفتوحة** أو **مغلقة** (e مفتوح في Père ومغلق في dé) وعن صوائت أمامية أو سابقة أدنى - حنكية (أو خطأ : حنكية) وعن صوائت **خلفية** أو **متأخرة** أو **أقصى حنكية** أو لهوية فـ I صائت متقدم و u أي الصائت الذي يكتب في الفرنسية ou هو صائت متأخر ينطق بتقديم وتدوير الشفتين : ونتكلم في هذه الحالة عن صوائت مدورة.

يجب أن يؤخذ **الارتفاع** الموسيقي بعين الاعتبار، لأنه يمكن لتغيراته المسماة نغمات أن تؤثر على إصدار نفس الجرس الصائتي وبالتالي تلعب دورا مهما (ينظر ص 119).

بالنسبة للصوامت، يأخذ الترتيب بعين الاعتبار الجهات أو مواقع النطق بأكثر دقة : إذا كانت القناة مغلقة بشكل كلي نسبيا بواسطة تقارب الشفتين، فالنطق شفوي (m, b, p) وإذا كانت كذلك بواسطة انطباق رأس اللسان على الأسنان العليا أو اللثة أو على أعلى الحنك الصلب فإننا نميز حسب مواقع النطق بين **الأسنانية** (d, t) والمغارزية والتقعيسية.

إذا حدث اقتراب جزء وسطي أو خلفي نسبيا من اللسان نحو جزء متغير من الحنك، فالنطق **حنكي**، إما **أدنى - حنكي** (نحو الأمام) وإما **وسط - حنكي** (في الوسط) وإما **أقصى - حنكي** أو **لهوي** (نحو الخلف - نقول خطأ حلقي). تحدث الصوامت الحنجرية في الحلق.

للصوامت **كيفيات للنطق** متعددة : انغلاق كلي مؤقتا أو شدة ودوي مفاجئ عند الإنفجار يحرر النفس : **الشديدان** (t, p)؛ انغلاق كلي في البداية ثم جزئي : الصوامت **نصف الرخوة** (ts) التي تكتب بشكل أحسن t^s)؛ انغلاق غير كلي ممدد نسبيا : الصوامت الرخوة أو **المستمرة** (f). المحددة في بعض الحالات بالقرع الذي ينتج : **الصفيرية** (z, s)، **الشأشئية** (š التي تكتب Ch في الفرنسية Roche) وينتج عن الانغلاق الجزئي المستمر المصحوب بحركات خاصة للسان

ما يعرف **بالموائع** من نوع l التي يقترب منها نوع r الذي يكون اهتزازيا أحيانا (r مكرر).

قد تطبع بعض الصفات الخاصة نطق الصوامت التي تسمى **هاوية** (نفس خفيف يصحب الارتخاء)، **لينة** (احتكاك خفيف ناتج عن اقتراب ظهر اللسان من الحنك). **مهموزة** (مصاحبة لنطق مهموز).

هناك جوانب تمييز مشتركة بين الصوامت والصوائت : فهي فموية إذا كان الهواء لا يخرج إلا من الفم. وأنفية إذا كان خروج الهواء من الأنف معتبرا (مثل الصامتين n, m والصوائت مثل ã التي تكتب في الفرنسية an أو en أو õ التي تكتب on)؛ نتكلم عن إختلافات في الكمية حينما يتعلق الأمر بمدة بقاء الأعضاء في مواقع النطق : تكون الصوامت والصوائت طويلة أو قصيرة نسبيا.

إن الترتيب هنا مبني على النطق. لقد بينت الأبحاث الحديثة النقائص : فهو يهمل الخاصية الحركية للنطق وظواهر التعويض (يمكن الحصول على نفس الأثر السمعي بواسطة وسائل نطقية مختلفة)؛ الخ... يمكن اقتراح تقسيم آخر، ذي طابع سمعي. إننا نعرف منذ مدة طويلة أن الخصائص السمعية الخاصة بالصوائت (الأصوات الموسيقية) وبالصوائت (القرع) تطابق بعض السمات ذات البنية السمعية، بفضل تقنيات التحليل الحديثة (ينظر في ص 26-28)، تم التوصل تدريجيا إلى تحديد هذه السمات واستخلاص مبادئ تقسيم جديد للأصوات.

ومن ناحية أخرى، فالوحدات الصوتية التي تقوم بوصفها الصوتيات العامة هي تجريدات؛ ففي الواقع، الأصوات التي تتجمع في كلمات هي نفسها مجرد عناصر مكونة **لمدارج منطوقة**، وتحقيق أي صوت مشروط جزئيا بطبيعة الأصوات المجاورة فللـ K في الفرنسية نطق مختلف بشكل واضح (تظهر الأجهزة المستعملة في الصوتيات لاختبارية الفرق) في Cave (قبل a ذي نطق أمامي) وفي Cas (a ذو نطق خلفي) وفي Cou (صائت لهوي u)؛ في Papa ، الـ P الثاني منطوق عموما بشكل أخف (أضعف من الأولى لأنه موجود بين صائتين ولأن الانغلاق الضروري لنطق الصائت الشديد P ارتخى بين فترات الانفتاح المطابقة لإصدار صائتين، تحت تأثير مبدأ الجهد الأقل، ولكن غرض المتكلم هو نطق P وهو لا يعني أنه ينطق شيئا آخر غير P شديد حقيقي، وذلك إذا لم نوفر له وسيلة لإدراك هذه الحالة.

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن K المذكور آنفا. وبما أن متغيرات K مرتبطة، كل على حدة، بالشروط الخاصة بالجوار، فإن مجموع متغيرات K تكون صوتا وحيدا متميزا هو K؛ هذا الصوت تمييزي باعتباره السند المادي للتمييز بين كلمتين من نوع Cas وGars أي ka و Ga بنفس الـ a، أو بين Cou و Goût، الخ...

تسمى هذه الأصوات التمييزية **مصوتات**؛ فهي الوحدات المكونة للنظام الفونولوجي للغة ما. إن التحقيقات الصوتية لهذه اللغة تقبل تنوعا أكثر.

إن الأنظمة الفونولوجية غنية بشكل غير متساو. أمثلة :

الصوائت : مثال عن نظام فقير : الإسكيمو : u, a, i.

نظام غني : الفرنسية : <<أدنى نظام>> مشترك لمختلف الجهات والطبقات الاجتماعية (حسب أ .مارتيني) بالنسبة للصوائت الفموية:

i ũ u

e õ o   انفتاح متصاعد

a

امام ◄────► خلف

يجب إضافة الأنفية : ˜e ˜ö õ

ã

تميل ˜e õ للتداخل (˜e في Brin، õ في Brun)

<u>الصوامت</u> : نظام فقير : اللغات البولينيزية عموما، وخاصة اللغة التهيتية ذات النظام التالي (حسب أ . سوفاجو)

الشديدة	p	t	ɔ	الأنفية	m	n	
الرخوة	f			المائعة	r		
	v	h					
				أنصاف الصوائت	w	y	

نظام غني : اليوكتس، لغة هندية من عائلة البينوتيا في أمريكا الشمالية (حسب س. نيومان)

	الشديدة	الرخوة	الصفيرية	الأنفية	المائعة	أنصاف الصوائت
الشفوية	p p‘p’			m m		w’ w
الأسنانية	t t‘ t’	t ṭ‘ ṭ’	s	n’ n	l’ l	
التقعيسية	t t‘ t’		ş			
أدنى حنكية	č č č					y’ y
حنكية	kk k		ħ			
أقصى حنجرية						
حنجرية	¬		h			

يجب أيضا أن يشمل وصف الجانب الصوتي للغة دراسة مجموعات المصوتات المعقدة نسبيا والثابتة نسبيا : مجموعات الصوامت مثل bl، fr الخ... المجموعات التي تبدو كوحدات مكونة للكلمات هي **المقاطع** التي لها بنى متغيرة والتي تسمح بدراسات خاصة **بالتكوين المقطعي**. بالإضافة إلى ذلك يمكن حدوث عوارض صوتية أثناء النطق، خاصة عمليتا **الإدغام** و **الإبدال**. يمكن لمصوتات متجاورة أو متقاربة نسبيا أن تشترك في بعض الخصائص. بل يمكن أن تصبح متطابقة وذلك بواسطة تأثير نطق مصوت على نطق

مصوت آخر : هذا هو الإدغام : مثل absent التي تنطق apsent مع b الذي يصبح مهموسا p إذا وقع أمام s مهموس. والعملية العكسية هي الإبدال : وذلك مثل corridor التي تنطق colidor (تتحاشى تكرار نطق معين في نفس الكلمة : الـ r الثاني يخفي الأول). إن هذه العمليات تحدد التغيرات العرضية الواقعة في الكلمات والتي يمكن أن تفرض نفسها كما هو ملاحظ في اللسانيات التاريخية (ينظر في الصفحات 77 – 79).

تتدخل أيضا أثناء النطق تغيرات في **الارتفاع والشدة**. لقد رأينا دور النغمة في إصدار الصوائت؛ لكن الظواهر **النغمية** المبنية على هذه التغيرات تبرز على مستويات مغايرة لمستوى الوظائف التمييزية للفونولوجيا:

يقسم النبر (الذي تغلب عليه الشدة أو الارتفاع) مدرج الكلام إلى وحدات نبرية متعاقبة لها علاقة بتراكيب القول؛ يبرز التنغيم بيانات تتغير حسب تنوع الأقوال (الإثبات، الاستفهام، التعجب، الأمر) وحسب الطريقة التي ينظم بها المتكلم الخبر الذي يود تبليغه في الخطاب (ينظر في الصفحات 53– 54).

ب – المعجم

تستخدم المادة الصوتية للغة ما في تكوين كلمات، ومجموع الكلمات تكون **معجم** هذه اللغة؛ دراسة الدلالات التي تعبر عنها ودراسة تطورها هو موضوع **علم الدلالة**. غالبا ما يكون المعجم مركبا، وهو يتغير بسرعة بواسطة الاكتساب أو التخلي عن

المفردات. وهكذا نرى أن المعجم الفرنسي يحتوي، إلى جانب المفردات التي تنتمي للغة منذ أمد بعيد (الكلمات الموروثة عن اللاتينية، الكلمات الجرمانية القديمة المستعارة)، على مفردات دخلته مؤخرا وتكيفت مع النطق ومع الكتابة؛ إن كلمة Redingote (المثبتة من القرن 17) هي تكيف في نفس الوقت مع صوتيات وكتابة الإنجليزية Riding – coat؛ وكلمة football تنطق Futbol، Futbal وهذا يعني حتى في الحالة الأولى، تكييفا مع نظام الأصوات الفرنسي مع الاحتفاظ بالكتابة الانجليزية. ومن ناحية أخرى، يحتوي معجم نفس اللغة على مستويات متنوعة : المفردات <<العامية>> أو <<المختارة>>، اللغات التقنية، اللغة الشعرية، الخ... يمكن أن تكون المفردات المستعارة أكثر عددا ومتجانسة بالنسبة لبعض مستويات المعجم : مثل المفردات الانجليزية الموجودة في المعجم الرياضي الفرنسي.

يتضمن المعجم إلى جانب <<الكلمات>> (أب، طاولة، كلم،الخ...)، أدوات تكوين ساهمت في إنشاء مجموعات من الكلمات وهي لا زالت تساهم نسبيا في إنشاء مفردات جديدة : مثل لواحق وسوابق الفرنسية : iste (étalagiste, dentiste, artiste)، الخ...) tion (réparation, fondation, finition، الخ..) able (périssable, secourable, aimable) dé (délivrer, déranger) ex (expurger, exporter)، الخ...

يتميز تكوين الكلمات في بعض اللغات بسمات أكثر تعقيدا. ففي الفرنسية، نلاحظ أن loger، logement، logeable، logeuse مبنية على الجذر الثابت log (lož-) ولكن في الهندو - أوروبية تدخل

التناوبات (ينظر في ص 48-49)، أيضا في تكوين الكلمات، ومنه في اليونانية مثلا témõ <<أقلع>>، to`mes <<قطع>> (التناوب tom / tem).

تشترك أحينا كلمات تامة وفق شروط معينة في تكوين كلمات مركبة : الفرنسية Porte - Plume، الالمانية Wehremacht << قوة (macht) الدفاع (Wehr)>>.

يمكن للمعّجم أن ينقسم إلى أبواب متنوعة. ليس التميز بين الاسم والفعل ظاهرة صرفية عامة، فهو واضح في اللغات الهندو أوروبية، ولكن في الصينية مثلا، نفس الكلمة الجامدة تستعمل في نفس الوقت للشيء وللحدث المطابق له. **فأقسام الكلام** إذن تختلف بشكل كبير حسب اللغات.

في بعض اللغات توزع الموضوعات في **أقسام** (مثلا : البشر، السوائل، النباتات الليفية، النباتات العشبية، الخ...)؛ التمييز في الجنس (ذكر، أنثى لا ذكر ولا أنثى) هو ظاهرة من نفس النوغ - بما أن هذه الأقسام والأجناس تعرف بعلامتها الصرفية المتميزة، فإن دراستها تدخل في إطار الصرف التقليدي، والشيء نفسه بالنسبة لدراسة الأعداد (المفرد، الجمع، وتمييزات أخرى محتملة مثل المثنى لمجموعة من اثنين والمثلث لمجموعة من ثلاثة، واسم الجمع)، رغم كون هذه المفاهيم مرتبطة بتعيين الأشياء وتهم إذن المعجم.

يكون رصيد المعجم معتبرا نسبيا. إن **قاموس الأكاديمية الفرنسية** الذي لا يحتوي على مفردات تقنية يجمع 35 ألف كلمة. ورغم ذلك

اعتبرت 500 أو 600 كلمة كافية لضمان التخاطب الضروري للاحتياجات الأساسية.

جـ) النظام النحوي

لكل لغة نحو؛ بالمعنى العام، يشمل النحو مجموع العناصر المكونة للغة. وبالمعنى الضيق. النحو هو مجموع العلامات، أي الوسائل التي تقوم بوسم المقابلات والعلاقات المتنوعة بين المفاهيم التي تعبر عنها الكلمات التي يكون مجموعها المعجم. لقد رأينا أن بعض المقابلات تهم المعجم : مقابلات الأقسام والأجناس؛ لكن يكفي أن يعبر عنها بعلامات، بعناصر مميزة لتدخل في إطار **الصرف**، دراسة هذه العلامات أو المورفيمات (وحدات صرفية) (اليونانية morphé <<شكل>>). تتعلق هذه المقابلات بمفاهيم متنوعة جدا : العدد، الجنس، الحال في الزمن، الدور المعلوم أو المجهول بالنسبة للحدث، العلاقة بالأشخاص، الخ... ومن ناحية أخرى، تميز العلامات النحوية العلاقة بين العناصر المكونة للأقوال.

وهكذا نتعرف في الجملة الفرنسية

،Les grands arbres du bois ont été abattus par le bucheron على خمس عناصر معجمية تحدد المفاهيم : grand, arbre, bois, ،abattre, bûcheron ولكن المفاهيم المعبر عنها في هذا الجملة مخصصة ببعض العلاقات / الروابط : الجمع (les grands arbres) مقابلة للمفرد (le grand arbre)؛ البناء للمجهول

(ont été abatus) مقـــابلة للبنـــاء للمعلـــوم (ont abattu)، وفي نفـــس الوقت نتكلم عن حدث مضى مقابلـــة لمـــاض مكـــرر أو عويـــن أثنـــاء حدوثه (étaient abattus)؛ نتكلـــم إذن عـــن **أقســـام نحويـــة** للعـــدد، للصيغة، للزمن، فهي المفاهيم التي يعبر عنـــها بواســـطة المورفيمـــات (les للجمع مقابلة لــــــ le، والوصـــل -z- في grands arbres، مقابلـــة للوصـــل -t - في grand arbre) تســـتعمل الموفيمـــات أيضـــا في ترجمـــة مفاهيم من مستوى آخر : العلاقات بين عناصر الجملـــــة. وعليـــه فـــــ par كلمة – أداة تدعـــــى حـــرف إضافـــة، تـــدرج المفعـــول bûcheron الذي تعطيه وظيفة فاعل <<الحدث>> abattre. فالعلاقـــة هنـــا إذن هـــي من نوع آخر وللمقـــابلات في نفـــس الوقـــت طـــابع أقـــل بســـاطة : تستدعي par حـــروف إضافـــة عديـــدة : à, de, avec, devant، الخ.... إن تكوين الجمل هو موضوع **التراكيب** التي تـــدرس في نفـــس الوقـــت نظام تنظيم الجملة البسيطة المختصرة في قضية وحيدة كمـــا هـــو الأمـــر في المثال المذكور، ونظام الجملة المركبة التي تجمـــع عـــدة قضايـــا (il me dit que les grands arbres) يمكـــن أن تـــترجم العلاقـــات التركيبيـــة بعلامات من نفس نوع الأبواب مثل العـــدد والجنـــس والصيغـــة، الخ.... (ينظر التصريف في الصفحات القادمـــة).

تتغير الأبواب النحوية حسب تغير اللغات. ففي بـــاب العـــدد، نميـــز في الفرنسية بين المفرد والجمع، ولكن يمكـــن أن يكـــون للمقـــابلات في العدد درجات أخرى : تحتفـــظ الإغريقيـــة القديمـــة (مـــع اتجـــاه نحـــو الإلغاء) بمثنى بالنســـبة للمجموعـــات المتكونـــة مـــن إثنـــين : ho lúkos <<الذئب>>، tŏ lúkō <<الذئبـــان>> hoi lúkoi << الذئـــاب>>. كـــان للهندو – أوروبية في مقابل صيغة الاختيـــار (indicatif) صيـــغ أخـــرى مثل subjonctif الـــذي يعـــبر عـــن الإرادة والاحتمـــال والـــــ optatif

الذي يعبر عن التمني والإمكانية والـ désidératif الذي يعبر عن الرغبة والقصد. بالنسبة للاتينية لم يبق في مقابل صيغة الإخبار indicatif إلا صيغة الإرادة والاحتمال subjonctif. يترجم التحول في القيم (بعض أشكال subjonctif تحولت إلى الزمن المستقبل في indicatif، واستعملت أشكال الـ optatif استعمال subjonctif باختزال في المقابلات.

وهكذا نلاحظ كيف بدأت تتحدد في كل لغة وبطريقة خاصة وظائف تجمع بين المفاهيم ووسائل التعبير. فالمفاهيم هي الأبواب النحوية ووسائل التعبير **هي الإجراءات الصرفية**. وهذه الأخيرة هي أيضا متغيرة جدا حسب اللغات.

وعموما تسمى العناصر الأساية التي تنتمي للمعجم وتميزها علامات، الجذور الفرعية. وهي لا تظهر دوما بنفس البنية كما أن المفردات المتعلقة بها متغيرة. ففي لغة مثل الفرنسية نتكلم عن الجذر chant للفعل chanter لأن chant هو العنصر المشترك في (je) chante ، (nous) chantons و (je) chantais الخ... ولكن يمكن أن نقرب chanter من الأشكال chanson أو cantatrice المرتبطة بواسطة المعنى ونسبيا بالشكل للجذر -chant : في الحقيقة، يتعلق الأمر هنا بمجموعة من الكلمات مرتبطة بالجذر اللاتيني -can (الفعل canô <<أغنى>> يمثل الجذر اللاتيني -can العنصر المعجمي الهندو - أوروبي k°n ولا نستطيع تجاوز هذا الحد من التحليل؛ يتميز هذا العنصر بصامتين يمكن أن يظهر بينهما صائت. هنا ينقص الصائت في البداية أثناء تكوين الفعل اللاتيني المذكور. هناك <<درجة مختزلة>>، مع تكوين جرس صوتي بين الصامتين له o كارتكاز

والذي أصبح a في -can: ونلاحظ نفس البنية في مجموع العناصر المعجمية الهندو -أوروبية الأكثر بساطة التي يطالها التحليل. هنا نتكلم عن الجذر الأصلي. إن الإحساس بالجذر الأصلي واضح نسبيا في اللغات. إن التطور الذي وصلت إليه الفرنسية قد ساهم في إزالة الإحساس بالجذر الأصلي. وفي هذه الحالة لا نتكلم إلا عن الجذر الفرعي مع الأخذ بعين الاعتبار التقارب الموجود بين الجذور الفرعية المتجاورة نسبيا عن طريق الشكل والمعنى والتي تكون <<عائلات من الكلمات>>. الجذور الأصلية بارزة جليا في اللغات السامية.

تنقسم الإجراءات الصرفية إلى أنواع مختلفة متناسقة نسبيا في تكوين أشكال نفس اللغة. قد تكون العلامات عبارة عن تحوير في العناصر الجذرية (التناوبات)؛ وحينما يتعلق الأمر بعناصر متغيرة مضافة (حالة كثيرة التردد). نسميها الزوائد وتسمى الزوائد حسب الموقع **بالسوابق، اللواحق**، والزوائد المدمجة. يلاحظ أن الزوائد الأولى والثانية هي الأكثر تمثيلا.

1 - التناوبات

التناوبات هي مجموعة من المقابلات داخل العناصر الصرفية المتغيرة جزئيا في أحوال معينة.

يمكن أن يظهر نفس الجذر الهندو -أوروبي -men في صياغات مختلفة بعدة أشكال mn, mon, men؛ نتكلم إذن عن الدرجة e، وعن الدرجة o (أي عن درجة تامة تكون الصائت e أو o) وعن درجة ناقصة أو معدومة (انعدام الصائت)؛ كان هذا <<التناوب الصائتي>>

إجراء صرفيا أساسيا في الهندو - أوروبية؛ وبقيت آثـــار مهمـــة نســـبيا : كما هو الحال في التنوعات الصوتية للأفعال الألمانية الدالـــة علـــى القـــوة الألمانية : brechen <<كســـر>> المـــاضي منـــه brach واســـم المفعـــول gebrochen.

تظهر هذه الأمثلة تناوبات في الجـــذور : وهـــذا إجـــراء مـــألوف في اللغات ذات الجذر الظـــاهر. مثـــل مـــن العربيـــة الكلاسـيكية الجـــذر Q.T.L قتل : قتـــل qatala (a – a)، يقتـــل (صفـــر – u) قتـــل quotila (u – I)، قـــاتل qātilun (ā – i).

يمكن أيضا أن تمـــس التناوبـــات الصوامـــت، أو نـــبر الارتفـــاع أو الشدة الذي يمكن أن يتغير موقعـــه.

2 - إضافة عناصر متغـــيرة

يمكن للعلامات النحوية أن تكون عناصر مضافـــة، بصفـــة متغـــيرة، للجذور الأصلية أو الفرعيـــة.

حينما لا يكون لهذه العناصر وجـــود مســـتقل وتظـــهر كاللاحقـــة الضرورية والتناوبية للكلمات، نســـميها **العلامـــات الإعرابيـــة**. وتمثـــل هذه العناصر إعراب الكلمات التي تظهر فيها. كـــان الإعـــراب إجـــراء عاما في الهندو - أوروبية وحافظت عليه لغـــات هـــذه المجموعـــة بصفـــة مختلفة؛ فكان للاتينية إعراب ذو ســـت حـــالات في الأسمـــاء لتحديـــد علاقات مختلفة : فكلمة مثل dominus (ســـيد maitre) تـــرد في أشـــكال متصرفـــة ذات علامـــــة إعرابيـــة متغـــيرة : dominus، domine، dominum، dominī، dominō (شـــكل وحيـــد لحـــالتين تختلفـــان في أنواع أخرى من الكلمات) وكسلسلة مماثلـــة في الجمـــع. تمثـــل هـــذه المجموعة من الأشكال المتصرفة إحدى العلامـــات الإعرابيـــة للأسمـــاء في

اللاتينية حيث توجد سلسلات أخرى مطابقة متكونة من مورفيمات مختلفة شكلا ولكن لها نفس الوظيفة. يقدم لنا تصريف الأفعال أيضا أنواعا مختلفة.

ومن ناحية أخرى فإن هذه المورفيات متعددة، أي أن مورفيما وحيدا يمثل عدة علامات : فشكل مثل bonārum من الصفة اللاتينية bon (حسن) معرف بواسطة المورفيم ārum - كمجرور (المضاف إليه عموما) وكجمع (المفرد المقابل له يكون ae -) وكمؤنث (مرتبط باسم مجرور مذكر وجمع، الصفة يكون لها الشكل bonārum).

بقي هذا الإجراء جزئيا في الفرنسية : إن ماضي الـ indicatif لفعل مثل parler يعطينا ثلاثة أشكال (بتمييزات إضافية خطية فقط) : parler (-s , -nt) أي صوتيا (∂) parl، parlons (parlõ)، parlez (parle. وهذا يحدد مجموعة من ثلاث علامات إعرابية : صفر (أو ∂)/õ/ e، مضافة للجذر - parl ، ولكن في نفس الوقت إن مجموعة الضمائر - الفاعلين (je (أنا) تقابل tu (أنت) و il (هو)، الخ... تكمل وتحدد المقابلات.

حينما تكون العناصر المتغيرة زوائد أكثر تميزا تختلف عن العلامات الإعرابية في إمكانية عزلها تماما وإبرازها من جراء إمكانية إلصاقها بصفة كبيرة نسبيا في نفس الكلمة نتكلم حينئذ عن **الإلصاق**.

ومثال ذلك في المجرية hāz <<مترل>> hāzak <<منازل>> hāzban <<في (الـ) مترل>> hāzakban <<في (الـ) منازل>>.

وفي لغة الإسكيمو، تكثر اللواحق حيث ينتج عن هذا كلمات طويلة جدا أي رصف عناصر تكميلية متنوعة جدا ملتصقة بعنصر معجمي أساسي، تكثر الكلمات - جمل : qasuiiy̆say̆Biy̆say̆sin˜n˜tluinay̆nay̆puq <<و لم ننجح أبدا في الحصول على مكان للراحة >> : كلمة - جملة تتالى فيها تسعة عناصر ملحقة بـ - qəsu << متعب>>.

هناك نوع آخر من استعمال العناصر التكميلية يمثلها النمط المسمى **بالتحليلي**. تعتبر الفرنسية مثالا له : تتمثل العملية في استعمال كلمات. أدوات كمورفيمات دون نبر خاص، ويمكن عزلها نسبيا عن الكلمات التي تلحق بها بواسطة عناصر اعتراضية.

ليكن المثال je prends من الفرنسية الذي ينطق ža prã أو šprã الذي لا يتميز عن الشخص الثاني tu prends (tüprã) إلا لضمير الفاعل الموضوع قبل ža أو - š / - tü. إن الكتابة تخفي الحقيقة بكونها تفصل هذين الضميرين الفاعلين: ليس لهما أي وجود مستقل داخل اللغة (الضمائر المستقلة هي moi <<أنا>>، toi <<أنت>>. ولا يحتفظ je <<أنا>> بأثر لاستقلال قديم إلا في الصيغة الجامدة (je soussigné) وليس لهما نبر خاص وهما يعملان كسوابق. كما أن الأداة (وأيضا الضمير الصفة) في الفرنسية هو العلامة الأساسية للجنس والعدد بالنسبة للأسماء (s - الجمع هو مجرد خط، ما عدا في حالات الربط).

La chaise (lašez <<كرسي>> ، les chaises (les šez) <<الكراسي>>.

يقبل النظام تعددية الكلمات - الأدوات : تحتوي dans la rue (dâlarü :) <<في الشارع>> على حرف جر، علامة العلاقة وعلى أداة، علامة الجنس والعدد؛ وتحتوي je le vois (želvwa : أو žlevwa <<أراه>> على ضمير فاعل وضمير مفعول.

تفصل الكلمة - الأداة أحيانا بواسطة كلمة تامة : la petite chaise <<الكرسي الصغير>>.

3 - الإدماج

يوجد في je ne t'ai rien pris (ženteryêpri) تعقيد أكبر : فبين الفاعل (ž) وآخر عنصر من الصيغة الفعلية : pri، لا يندرج الضمير المفعول t (te أي à toi) فقط ولكن أيضا أداة النفي (ne) والضمير المفعول النكرة rien.

نلاحظ هنا إجراء ذا توسع محدود في الفرنسية (إدراج ظروف وضمائر) ولكنه يتحقق بشكل أكبر في بعض اللغات : يطبق عدد كبير من اللغات الهندية لأمركيا إدراج الاسم المضاف : في اللغة النهواتلية نجد في nipetla - čiwa <<أصنع ضفائر>> أن الاسم (tl) petla <<ضفيرة>> مدرج في الصيغة الفعلية ni - čiwa.

4 - ترتيب الكلمات

يجب أن تضمن المورفيمات ترتيب العناصر ترتيبا دالا داخل القول. ففي الفرنسية، ترتيب الكلمات وحده هو العلامة الدالة على الوظيفة الخاصة للاسمين في جملة من نوع le chien suit l'homme، وتقلب هذه الوظيفة لو كان ترتيب المفردات l'homme suit le chien.

نجد نفس الإجراء في اللغة الأوتومية مثلا (لغة هندية من المكسيك) .

kardzoya	kamta	Bišipti
le chef	mon père	A parlé
الحاكم	أبي	تكلم

ومعناها : خاطب أبي الحاكم. ليس هناك علامة أخرى. عدا ترتيب العناصر - تدل على الوظيفة الخاصة للاسمين.

يلعب ترتيب الكلمات دورا كبيرا في لغة مثل الصينية، حيث لا توسم العلاقات بشيء آخر، نظرا لعدم وجود كلمات أو مورفيمات تخصص هذه العلاقات.

لا يقتصر نحو لغة ما على نظام من الأبواب والعلاقات يتحقق بمجموعة من العلامات الصرفية الداخلة في إطار تراكيب الكلمات. يظهر على مستوى الجملة في وحدها الكلية نحو ينظم أساسا مستويين من القيم. من ناحية **عملية القول** التي تؤدي إلى أنماط متنوعة مطابقة لعدة **أنواع من الأقوال** : خبري (مثبت أو منفي)،

استفهامي، تعجبي، الخ بعلاماتها المميزة. لكن لجملة واحدة أن تعطينا إمكانيات أقوال متنوعة وذلك دون تغيير في طابعها المادي. ليكن في الفرنسية tu travailles يمكن لهذا القول أن يكون خبريا معبرا عن مجرد تقرير : tu travailles <<أنت تعمل>>، استفهاميا tu travailles ?؛ تعجبيا tu travailles ! ؛ معلقا tu travailles (alors que je ne fais rien) الخ... يمكن للتنغيم الموسوم خطيا بعلامات تنقيط مختلفة أن يميز وحده في اللغة المنطوقة مختلف الأنواع، ولكن قد تتدخل إجراءات أخرى (كما هو الحال في استعمال est –ce que في الفرنسية).

من ناحية أخرى، حينما يريد المتكلم تبليغ معلومة (مضمون إعلامي) فهو ينظم خطابه [1] معتمدا على التنغيم وترتيب الكلمات (تتغير الإجراءات حسب اللغات) : ففي الفرنسية مثلا تعتبر الخطابات التالية متقابلة :

j'ai vu pierre hier
hier j'ai vu pierre
pierre, je l'ai vu hier
je l'ai vu hier, pierre ، الخ...

ب – تقنيات الوصف

تظهر دراسة العناصر المكونة للغة بأن كل نظام لغوي يرتكز على إنتقاء من بين إمكانيات التحقيق غير المحدودة ففي مختلف المستويات. على الوصف أن يظهر الاختيار بين هذه الإمكانيات

1) – حول هذه المفاهيم ينظر ج – بيرو في ص 85 – 101
(1978) – lxxIII – Bulletin de la société de linguistique de paris.

والنظام الناتج عن هذا الاختيار، بصفة تسمح باستخراج - من تفاصيل التحقيقات - **الوظائف** التي تحدد **نظام** اللغة المقصودة حينما يتم استخدامها.

على المستوى الصوتي يجب التمييز بين الأصوات والمصوتات. يجب أن يظهر الوصف نظاما فونولوجيا وذلك باستخراج العناصر الصوتية التي تضمن، بواسطة دورها المميز، كيفية عمل اللغة. يمكن الاستعانة بالحس اللغوي : يحس الفرنسي بأن المصوت k وحيد حينما يؤديه دون وعي تأديات مختلفة في cave ، cas، cour، (ينظر في ص 39). يمكن الاستعانة بالوعي اللغوي الذي يعكس فعلا كيفية عمل اللغة. لكن أغلب الفونولوجيين يقومون بصفة موضوعية بتحليل دقيق قصد تحديد الوحدات المميزة، التي يمكن عزلها بواسطة **الاستبدال**. تميز مثلا 15 وحدة مميزة في بداية كلمات المجموعات التالية :

Banc, pan, vent, faon, dent, temps, zan, sang, gens, chant,
Gant, camp, lent, rang, ment, bout, pou, vous, fou, doux,
Tout, zou, sou, joue, chou, gout, coup, loup, roux, mou

يتحدد التعريف بين العنصر الأول من banc ومن bout، من pan ومن pou الخ، والمقبول من قبل الوعي اللغوي، بواسطة كون هذه العناصر متقابلة في كلتا المجموعتين بنفس السمات، التي هي الصفات المميزة : b تقابل p في المجموعتين كمجهور لمهموس، الخ. يطرح تحديد هذه الصفات مشاكل معقدة، كما أنه تم اقتراح طرائق بحث أخرى. فالفونولوجيا حددت هدفها ولكنها لا زالت تناقش طرائقها.

ينبغي ألا يحجب الوصف الفونولوجي أهمية الوصف الصوتي الذي يسجل التأديات الخاصة للمصوتات الخاضعة للمحيط الصوتي. هذه التأديات الخاصة توضح التطور . ف c (صوتيا k) كان في اللاتينية فونيما وحيدا، ولكن ينطق بشكل مختلف أمام صوائت مختلفة، و لم يتطور بنفس الطريقة في الفرنسية في corte (m) التي أصبحت cour، و callum (m) التي أصبحت cheval، و (m) cera التي أصبحت cire (دون اعتبار الاختلافات اللهجية) : k اللاتيني (الذي يكتب c) أدى في هذه الكلمات إلى k (المكتوب c) في cour وإلى š (المكتوب ch) في cheval وإلى s (المكتوب c) فيcire.

على مستوى النحو، لا يلزم تطبيق المبدأ الوظيفي قبول الأبواب اللغوية المتميزة إلا بربطها بمجموعات الأشكال المتميزة. ففي الفرنسية مثلا، حافظت اللغة الأدبية على المقابلة بين الماضي البسيط أو المحدد، الذي يعبر عن الحدث الحاصل في فترة زمنية ماضية سجلت كما هي أي كفترة محددة دون اعتبار للمدة (مقابلة بهذا الجانب من الحدث الماضي المستمر الذي يعطي للحدث الماضي نوعا من الامتداد)، والماضي المركب أو غير المحدد الذي يمثل حدثا على أنه تام. ونتيجة على أنها محققة : j'ai acheté ce livre مقابلة لـ : .j'achetais alors ce livre

ولكن اللغة المنطوقة ألغت عمليا الماضي البسيط وهي تستعمل j'ai acheté في الحالتين. من هذا الأمر يستخلص ما يلي : أنه ينبغي في وصف اللغة الأدبية ذكر باب خاص بالماضي المحدد، داخل الباب العام زمن – حدث، بينما لا يعرف وصف اللغة المنطوقة إلا بابا

وحيدا نبحث له عن تسمية تأخذ بعين الاعتبار مجموع استعمالاته : نتكلم مثلا في حالة الماضي، عن باب <<الفعل المحقق>>. يتمثل المبدأ في رفض الانطلاق من المعنى على اعتبار وجود مقابلة عامة منطقية أو نفسية بين الماضي المحدد والماضي المتقطع، وكذا في اعتبار الوظائف الثابتة في اللغة عن طريق المقابلات المعبر عنها ماديا : فحيث لا تظهر مجموعات من الأشكال المتميزة لا يمكن اعتبار القيم المتميزة.

ينبغي أيضا تحديد ما تستلزمه العبارة <<المجموعات المتميزة>>. فهي ليس لها معنى إلا في نظام المقابلات؛ يمكن لنفس المجموعة أن تعطي عددا من تغيرات الأشكال دون إلغاء كونها واحدة بواسطة وظيفتها. ليكن نظام <<أزمنة>> الـ indicatif في الإغريقية القديمة، فهو يشمل على الخصوص الماضي المستمر، الماضي المبهم (الماضي المحدد) والماضي التام. ولكن الأشكال متغيرة : فالنسبة للفعل الذي يكون ماضيه (المتكلم المفرد) lúō نجد éluon في الماضي المستمر و élusa في الماضي المبهم و léluka في الماضي التام (المنتهي) ولكن بالنسبة للفعل lambanō <<أخذ>> : الماضي المستمر elámbanon والماضي المبهم élabon والماضي المنتهي éilēpha؛ للماضي المبهم لهذين الفعلين أشكال مختلفة مع كل الأشخاص. ولكن ما هذه التغيرات في الأشكال إلا تنويعات صرفية ممكنة بالنسبة لمجموعة هي، وظيفيا، وحيدة. يوجد نفس الشيء في الفرنسية، عدة أنواع من التصاريف (aimer, finir الخ...) التي تختلف شكلا وتتفق تنظيما.

يمكن أن يدخل مبدأ مشابه في التراكيب وذلـــك في تحليـــل عنـــاصر القول قصد البحث عن الوحـــدات التركيبيـــة للغـــة. لا يمكـــن لنـــا أن نحصل في الجملة الفرنســـية.

Le chien suit son maître علـــى : le suit son maître ولا علـــى : chien suit son maître. يعتبر le chien إذن من وجهـــة نظـــر تراكيـــب هذا القول كتلـــة لا تجـــزأ أي وحـــدة تركيبيـــة ونفـــس الشـــيء بالنسبة لـــ : son maître. وهكذا نلاحظ أن الاســـم وحـــده لا يكـــون وحدة تركيبية في هذا النوع الفرنسي إلا إذا كان مصحوبـــا بمحـــدد.

إن الطريقة التي تســـمح بتحديـــد الوظـــائف تظـــهر إذن كطريقـــة **استبدال** وبهذا تكون قد عممت إجراء التعويـــض الـــذي يعتـــبر أســـاس الطريقة الفونولوجية. بهذه الطريقة أخذ التحليل اللغـــوي بعـــين الاعتبـــار العلاقة بين المضمون والعبارة. لا توجد عنـــاصر مضمـــون مســـتقلة إلا إذا أدى استبدالها تغييرا في المضمـــون.

إن هذه المبادئ، الصالحة لكل النحو، صالحة أيضـــا للمعجـــم الـــذي يحتوي هو نفسه على أمور نحوية، ناتجـــة عـــن وجـــود عنـــاصر عامـــة تستخدم في تكوين الكلمات (سوابق، لواحـــق، الخ...) لقـــد تم القيـــام ببعض المحاولات في المعجميـــة الوظيفيـــة. وضـــع إ. بنفينيســـت أثنـــاء دراسة لأسماء الفـــاعلين والمصـــدر في الهنـــدو -أوروبيـــة (1948)، هـــذا لمبدأ : <<حينما يتنافس شكلان مستعملان، لا يمكـــن أن تكـــون لهمـــا نفس القيمة، وبالتلازم : للوظائف المختلفـــة لنفـــس الشـــكل، قـــاعدة مشـــتركة>>.

إن البحث عن وصف وظيفي أدى باللغويين إلى استعمال تقنيات دقيقة ومعقدة أكثر فأكثر. لقد قامت عدة اتجاهات مهمة بعروض عامة وبأعمال تطبيقية من بينها الاتجاه المتأثر بدروس ل.جلمسلاف في كوبنهاق، الذي وجه اللسانيات إلى نوع من المنطق، وذلك بتسليحها بمجموعة من التعريفات تسمح بتحديد وحدات أي لغة حسب علاقتها المتبادلة، المعرفة بمفردات منطقية. إن الإجراء الوصفي لهذه الطريقة <<المحايثة>> (التي تتخذ من اللغة <<في ذاتها ولذاتها>> موضوعا للدراسة حسب مبدأ ف.دي سوسير) ممثل بكتاب مهم لـ ك. توجابي خاص بالفرنسية. يشتمل هذا الإجراء على :

أ) – إجراء <<تأليفي>> يتتبع <<العناصر التي لا تجزأ وذلك بتقسيم القول إلى <<وحدات صغير>>.

ب) – إجراء <<انتظامي>> يرتب هذه العناصر ((حسب وظائفها المتبادلة في الوحدات التأليفية في أقسام صغيرة إلى أن يتم تعريف العناصر)).

هناك مدرسة أخرى تستمد من تعليم ل.بلومفيلد في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تعتمد على علم النفس السلوكي. يمتنع اللغوي عن اعتبار دلالة الأشكال اللغوية : إن دلالة الشكل بالنسبة لبلومفيلد هي : <<الحال التي يستعملها فيها المتكلم والإجابة التي تثيرها لدى المستمع >>، وتعتبر هذا الحال وهذه الإجابة غير خاضعة للتحليل العلمي. نكتفي إذن بملاحظة الدلالات، بواسطة العلاقة الثابتة التي تظهر بين بعض الحالات وبعض الأقوال.
لا نستعمل في الوصف إلا مقاييس التوزيع الشكلية في مدرج الكلام، على هذه المقاييس يرتكز تحديد وترتيب المورفيمات. لقد قنن زليق س. هاريس طريقة تطرح كمبدأ <<كون البحث الأساسي للسانيات الوصفية

والعلاقة الوحيدة المقبولة على أنها تمييزية تتمثل في التوزيع أو التنسيق داخل مدرج الكلام بمختلف الأجزاء أو الخصائص فيما بينها؛ فالغاية هي عبارة عن <<مناقشة العمليات التي يجب على اللغوي تنفيذها أثناء أبحاثه، وليست نظرية للتحليلات البنيوية الناتجة عن هذه الأبحاث>>.

لقد تطور التحليل البنيوي إذن في بداية الأمر وفقا للنموذج المبني على الفونولوجيا مع إبعاد دراسة الدلالة. لكن في وقت لاحق تحددت هذه الدراسة نفسها مستفيدة من توسعات البنيوية : تطور علم **دلالة بنيوي** بتوجهات مختلفة. وتم البحث عن طرائق تحليل تسمح باستخراج السمات المميزة للدلالة، سمات تعكس الصفة التي تنتظم بها المقابلات بين الوحدات المعجمية داخل الأنظمة.

من ناحية أخرى، ظهر هناك نقد هام للأطروحات التوزيعية من قبل أتباع بلومفيلد وهاريس أنفسهم، أما شومسكي في الولايات المتحدة الأمريكية فقد كان وراء تيار فكري أعاد الاعتبار لنظرية المعطى اللغوي المباشر. سنذكر لاحقا الخصائص العامة لهذا الاتجاه الذي نبع منه **النحو التوليدي التحويلي**. ولكن ينبغي هنا الاحتفاظ بالفكرة التي مفادها أن هذه المدرسة تعلق دراسة المعطى، الذي يعتبر مجموعة من البنى السطحية، بنموذج نظري يزود بالبنى العميقة وهذا خلافا لتقليد عريق يتمثل في التقيد بالوقائع الذي بقيت تعمل به البنيوية الكلاسيكية دون انقطاع. يظهر التحليل اللغوي إذن كيفية عمل قواعد التحويل التي تسمح، انطلاقا من البنى العميقة، ببلوغ المعطى الذي يتحكم فيه مباشرة في النصوص الصادرة عن متكلمي لغة معينة.

ليس كل اللغويين مقتنعين بصلاحية هذه الأطروحات، ولكنها كانت سببا دافعا لأعمال كثيرة وفتحت مجالا جديدا لوصف اللغات، وكان لها الفضل في فتح حوار نظري يشكك ليس فقط في منهجية اللسانيات ولكن أيضا في أسس المعرفة العلمية.

إضافة إلى الهدف العلمي، فإن لوصف اللغات غاية عملية، وهي تعليم واكتساب اللغات. لقد تم القيام بمجهودات قصد أن يستخرج من تطور اللسانيات الوصفية طريقة عامة للتحليل تستعمل في التعليم. ولكن المرور من نظام لآخر – لكل لغة نظامها الخاص بها – لا تضمنه الحيازة الذهنية للاقتصاد الخاص باللغة المكتسبة. فبالنسبة لشخص لغته الأم هي الإنجليزية، لا يكفيه معرفة الوظيفة العامة للماضي المركب في الفرنسية لكي يستعمله مباشرة أحسن استعمال، وذلك لكون نظام أزمنة الـ indicatif مختلف في اللغتين. يمكن إعداد نظام من المطابقات بين الاستعمالات الخاصة لمختلف الأشكال في الإنجليزية ووسائل التعبير المساوية لها في الفرنسية. يمكن أن يكون اللجوء للمضمون ولتفاصيل المعاني همزة وصل بين النظامين.

وهكذا ظهر تخصص ذو أهمية بالغة وهو **اللسانيات التقابلية** التي لها منهجيتها الخاصة، ولكن المهمة الأساسية تتمثل في إعداد الميكانزمات التي تعتمد عليها كيفية عمل هذه اللغة، وهذا لدى الأفراد الذين يكتسبون اللغة بواسطة التقنيات المناسبة وببرمجة محضرة بدقة. إذا كان التحليل الصحيح للغات ولتقابلاتها هو نقطة الانطلاق الضرورية لكل برنامج تعليمي، فإن بيداغوجية اللغات تطرح مشكلات خاصة هي إحدى موضوعات **اللسانيات التطبيقية**.

الفصل الثالث

اللسانيات التاريخية والمقارنة

تتطور اللغات كسائر المؤسسات البشرية، لكن بطريقة خاصة. وتشكل الدراسة العامة لمسار تطورها جانبا هاما من اللسانيات العامة. بل لقد كانت الموضوع الوحيد للسانيين في القرن 19. ومن المفروض أن تدرس الظروف العامة لتطور اللغات في الفصل الموالي، غير أنه من الضروري وضع بعض المبادئ خلال هذا الفصل الذي يهتم خصيصا **باللسانيات التاريخية** التي تدرس تاريخ اللغات مقدمة بذلك مواد **للسانيات التطورية** وتزويدها بمبادئ تفسير ذات طابع عام.

لكل لغة مأخوذة على حدة تاريخ. وتتطور ظروف وجودها الخارجية والاجتماعية. واللغة نفسها، في نظامها وفي جانبها المادي، تتحول، وتمر بحالات مختلفة. وهكذا فكل لسان يمكن أن يكون موضوع دراسة تاريخية وافية : يمكن حينئذ كتابة تاريخ الفرنسية منذ القرن التاسع.

غير أن إمكانيات تحقيق مثل هذه الدراسات التاريخية الوافية محدودة نسبيا. فمعرفتنا لتاريخ لغة ما يتوقف عند فترة معينة، بعيدة نسبيا، إلا أن إجراءات تطور لغة ما تصل في بعض الظروف إلى

درجة توفير وسيلة إلقاء بعض الضوء على ما قبل تاريخ هذه اللغة (أي الفترة السابقة لأول حالة للغة معروفة بواسطة وثائق).

وهذه الإمكانية تتحقق عن طريق مقارنة لغات متعددة فيما بينها. وتسمح المقارنة بـ :

1) - معرفة أن لغتين أو عددا من اللغات هي النهايات المتعددة الناتجة عن تفكك لنفس حالة لغة قديمة.

2) - توفير، ولو بصفة أقل، معلومات حول هذه الحالة القديمة للغة (والتي لا يمكن بأي حال من الأحوال بناؤها كلية) ومنها إرجاع تاريخ اللغات المتقاربة إلى الماضي ويتضح بذلك تطورها الفردي انطلاقا من الحالة القديمة.

تتحدد الظروف العامة التي تنتج عنها هذه المعرفة بشكل علمي عن طريق المقارنة بواسطة **المنهج المقارن** المؤسس منذ القرن الماضي.

في إطار تطور اللسانيات، سمحت المعطيات التاريخية المحصل عليها في الميدان الهندو - أوروبي، من خلال البحوث المقارنة الأولى، من تحديد مسار تطور هذه المجموعة من اللغات ومن إلقاء الضوء على تطور اللغات بصفة عامة. وهذه المعرفة أثرت على البحوث المقارنة التي وجهتها وبالتالي تحدد منهجها أكثر.

كان اللسانيون الذين قدموا للبحوث المقارنة أول الإسهامات الهامة، وخاصة فر.بوب (fr. Bopp) الذي كان يبحث في اتجاه مغاير لاتجاه المقارنين المحدثين، وكان متشبعا بأفكار القرن 18، يرغبون في الوصول إلى بداية الأشياء، وتحديد أصل الأشكال اللغوية في الحالة الأكثر قدما، اعتمادا على الشهادات الأكثر قدما لمجموعة اللغات

المدروسة. وهكذا وجدوا أنفسهم مدفوعين للنظر في المراحل المتتابعة لتطور كل اللغات، وتأسيس فرضيات حول أصل اللغة البشرية وتحتل البحوث مكانة هامة جدا في الإنتاج اللغوي للقرن19.

وكان لتطور البحوث التاريخية الإيجابية حول مختلف مجموعات اللغات دور في ازاحة مشكل أصل اللغة. وهناك محاولات اليوم لتناوله بذهنية جديدة اعتمادا على فرضيات معقولة.

أ - تاريخ اللغات

1 - لمحة تاريخية

بلورت اللسانيا التاريخية منهجها العلمي خلال القرن 19. ويعود الفضل إليها في تزويدنا بمنهج مقارن ذي أسس معترف بها عالميا وصالحة إلى حدي كبير في أيامنا.

لقد كانت مقارنة اللغات سببا في تقدم اللسانيات، و لم يتأسس تاريخ اللغات إلا حينما تم تتبع اللغات على مدى زمني طويل إلى حد ما للتمكين من مقارنة حالات مختلفة جدا وحينما تمت مقارنة لغات متعددة ظهرت فيما بينها توافقات.

وفي غياب تلك الدعائم، فإن الفضول الكبير عند الناس لمعرفة أصل عناصر اللغة التي يستعملونها أنتج، وبعدد كبير، عند الشعوب

من هذه التـــأصيلات المســـماة شـــعبية والـــتي نجدهـــا مطبقـــة علـــى السنسكرتيية في الهند القديمة وعلى العبرية في التـــوراة وكثـــيرا مـــا لجـــأ إليها أفلاطون في le cratyle. وكـــان التـــأصيليون اللاتينيـــون يـــأخذون كذلك معظم شروحاهم للكلمات مـــن اللغـــة اللاتينيـــة دون الاهتمـــام بشرح الكلمات التي يســـتعملوها لشـــرح الكلمـــات الأخـــرى. ومـــن المهم الإشارة إلى أن النحاة اللاتنيين لم يعوا أبـــدا وجـــود نظـــام منتظـــم وتام من التطابقات بـــين اللاتينيـــة والإغريقيـــة، فقـــد كـــانت هـــذه التشابهات تبدو لهم بدون شك طبيعية نتيجـــة احتكـــاك ثقـــافي طويـــل. وبقيت بذلك اللغتان مدمجتين حتى عندما حققـــت اللســـانيات التاريخيـــة تقدما. ولم يتـــم الفصـــل النـــهائي في ذهـــن اللســـانيين للمجموعـــة الإغريقية اللاتينية إلا عندما تطـــور النحـــو المقـــارن للغـــات الهنـــدو - أوروبيـة

وفي المقابل فإن قرابة اللغات السامية عرفت منذ وقـــت مبكـــر مـــن طرف النحاة اليهود والعرب الذين عاشوا في نقاط مختلفـــة مـــن العـــالم العربي، ولم تتطور الدراســـة المقارنـــة للغـــات الســـامية عنـــد العلمـــاء الأوروبيين إلا في زمن جد متـــأخر.

ويبدو أن التشابهات بين اللغات الرومانية، على الأقـــل بـــين البعـــض منها، مكن في وقت مبكر من القيام بدراســـات مقارنـــة متينـــة. ففـــي بدايـــة القـــرن 14 يشـــير **De vulgari eloguentia** لدانـــــتي (Dante) بوضوح إلى الأصل اللاتيني للهجات الثلاثـــة لــــ oil, oc, si، وذلـــك رغم معارضته هذا التفسير، وهذا الاشتراك في الأصـــل قـــدم علـــى أنـــه مطابق لتعليم <<الدكاترة البلغاء>>. غـــير أن التعليـــم الجـــامعي الـــذي يشير إليه دانتي مجهول عندنا. وتجدر الإشارة إلى أنـــه في الفـــترة الممتـــدة

بين القرن 14 والقرن 17، حيرت أصول اللغات الرومانية عددا من الإنسانيين. ومن المهم الإشارة أن قرابة هذه اللغات لم يكن لها عندهم أي صفة ضرورية، وقد عورضت كثيرا من طرف مجموعة من العلماء قبل أن تصبح في القرن 19 موضوع اقتراح يعتبر اليوم بديهيا : أعطى ب. جيا مبيلاري (P. Giambullari) أصلا كلدانيا للهجة الفلورانسية، وقدم ج. بيريون (J. Perion—) الفرنسية على أنها منحدرة من الإغريقية. ومع أن بيريون يستعمل كلمة cognatio <<قرابة>> فإن الأمر لا يتعلق عموما بالقرابة وبالأصل بالمفهوم الحديث (أي تطابق) استعملها ه. إيتيان (H. Etienne) في مؤلفه : Traité de la conformité du français avec le grec (1569). وإذا كان مجددو الأدب منذ بيترارك وعلماء القرن 18 قد اهتموا جميعهم بمشكل أصل وتطور اللغات الإيطالية والإسبانية والفرنسية التي هي لغاتهم فذلك لإثبات "نبل" هذه <<اللغات العامية>> التي رفعوها إلى مرتبة اللغات الأدبية : فقد بينوا قدرتهم على لعب هذا الدور بتبيان <<تطابقها>> في البنية مع اللغات الكلاسيكية الكبيرة. وبين هـ. إيتيان وبدون تناقض تطابق الفرنسية مع الإغريقية، وقدم بعد سنوات في مؤلفه **De latinitate falso suspecto** (1576) الفرنسية على أنها منحدرة من اللاتينية. و لم يقم دانتي إلا بمحاولة لتحديد الانتساب اللاتيني مع إعطاء بعض الأمثلة. و لم يبدأ ب. ألدريت (B. Aldrete) في إسبانيا ومنذ 1531م في فرنسا من طرف ج. ديبوا (J. Dubois). وأدى في وقت متأخر تحديد نصيب الكلمات السلتية والجرمانية واللاتينية والإغريقية في الفرنسية إلى ظهور Origines de la langue française لـ ج. ميناج (G. Menage) الذي ترك أثر في كل أوروبا في منتصف القرن 17. غير

أنه بقي القيام بثورة أساسية وذلك باستبدال مفهوم التطابقات الكتابية بمفهوم التطابقات الصوتية.

ومن جهة أخرى فإن الامر الذي عطل إلى حد ما البحوث في أصول اللغات هو الرأي السائد، والذي كان معمولا به دون شك عند العبريين، ودعمه فيما بعد آباء الكنيسة (بقي حتى نهاية القرن 17) هو كون العبرية، وهي لغة الوحي، تمثل في حالتها القديمة اللغة الأصلية للبشرية، ومنها انحدرت كل اللغات المعروفة.

إن خطر هذه الفكرة محدود إذا نظرنا إليها كنتيجة لسانية، مستندة على نص التكوين الخاص ببابل، التي تعود إلى الاعتقاد الديني المتمثل في الأصل المشترك للبشرية، غير أنها تصبح خطيرة إذا حاولنا نسب اللغات الحديثة بصفة دقيقة إلى العبرية. وهذا ما فعله إ. قيشار (E. Guichard)، في بداية القرن 17 من خلال مؤلفه: l'harmonie élymologique des langues…déscendues de l'Hebraïque. ويعود الفضل إلى لايبتز في التصدي القوي لهذه النظرية، ولكل الجدالات من هذا النوع. ورأينا، ومع ذلك، إلى وقتنا الحالي بعض المحاولات لجعل هذه اللغة أو تلك أصلا لكل اللغات.

وفي مقابل هذا، فإن بعض المجهودات التي أصبحت ممكنة عن طريق نشر بعض المواد اللغوية، تمت بغرض وضع تقاربات ومجموعات أبعد وأعقد من تلك التي قام بها النحاة اليهود بالنسبة للغات المقدسة السامية، والإنسانيون بالنسبة للغات الرومانية. وهكذا فإن نشر النصوص المقدسة منذ وقت مبكر مكن من ملاحظة توافقات على مستوى المفردات بين اللغات الجرمانية واللغة الفارسية، ومن هنا جاءت فكرة وجود قرابة خاصة بين هذه اللغات. وهي فكرة

تأكدت في نهاية القرن 16 من طرف بونا فنتيرا فيلكا نيوس (Bonaventura Vulcanius) وتجلت كذلك في le Mithridate لأدلنغ في بداية القرن 19.

كانت أول محاولة لجمع كل لغات أوروبا هي عمل ج.ج.سكاليجر (J.J. Scaliger) الذي حدد انطلاقا من اسم الإله (اللاتينية deus و الإغريقية theós الخ...) أربع لغات أصول رئيسية / اللاتينية والإغريقية والجرمانية والسلافية وسبعا فرعية. وما هذه المحاولة إلا عبارة عن جدول عام و لم يقدم إلا تجميعا جزئيا.

غير أنه ظهر تطور في بعض الميادين على مستوى المنهج في مقارنة اللغات في بداية القرن 18. لقد كان من نتائج دراسة اللغات السامية في القرن 17 ظهور معاجم متعددة تم جمعها، وبذلك اتضح أكثر مفهوم القرابة. وتم في 1781 اقتراح مصطلح " السامية " للدلالة على هذه المجموعة من اللغات، كما قام لهويد (Lhuyd) عام 1707، في مذكرة هامة، بمقارنة اللغات السلتية التي بقيت حية. وأخيرا المرحلة التي حاول فيها لايبتز تحديد مجموعات جديدة تمثل مجموعة تقترب إلى حد ما بما يعرف بالهندو - أوروبية، ولكنها تتجاوز ما هو متداول حاليا وذلك بإعطاء أصل مشترك لمعظم لغات أوراسيا ومصر.

لقد شكل الميدان الأورالي موضوعا لأعمال مقارنة هامة في النصف الثاني من القرن 18 فقد استطاع جيارماتي (Gyarmati) خاصة تحديد القرابة المعروفة من قبل بين المجرية والفلندية اعتمادا على أدلة نحوية.

غير أن تطور النحو المقارن واكتساب منهج علمي دقيق جاء من الأعمال المتعلقة باللغات الهندو - أوروبية في القرن 19.

فقد بين الدانماركي راسموس راسك (Rasmsus Rask) في 1818 قرابة الإسلندية واللغات الجرمانية مع الإغريقية واللاتينية والبلطيقية والسلافية : كان يولي اهتماما كبيرا للتطابقات المادية بين المصوتات وبذلك فتح المجال للنحو المقارن. غير أنه لم يتابع حتى النهاية هذه الطريقة التي تم تجاوزها بإدراج جانب آخر من المقارنة وهو مقارنة الأنظمة. وقد توصل إلى إعطاء جدول للعائلة الهندو - أوروبية يقترب من ذلك الذي توصلت إليه كل البحوث اللاحقة، ولكن موقفه أدى به إلى اجراء تقاربات عامة جدا لم يعترف بها النحو المقارن في القرن 19، والتفكير في مشروع نحو عام ومقارن لكل لغات العالم. كان راسك يتمسك بأنماط لغوية وليس بمفهوم العائلة المحدد تاريخيا بواسطة تطابقات مادية. غير أن هذا الجانب الثاني من تصنيف اللغات هو الذي أعتمد في القرن 19 وذلك بفضل تقارب لغات الهند وأوروبا على الخصوص.

لقد سجل الإيطالي ف. ساسيتي (Ph. Sassetti) في القرن 16 توافقات بين اللغة السنسكريتية للهند وبين الإيطالية في أسماء الأعداد مثلا. ومكن الاحتكاك الذي أتيح للمبشرين والتجار في القرن 18 من الهند من معرفة أحسن لحضارة هذا البلد. وقد أدهشت التشابهات الموجودة بين السنسكريتية واللاتينية الأستاذ كوردو (Coeurdoux) والإنجليزي و. جونس (W. Jones). وهي تشابهات بدت عاكسة لأصل مشترك : وهكذا طرح بوضوح مشكل تاريخي عولج بدقة أكثر حينما ظهر مؤلف فر. شليجل (Fr. Schlegel).

Ueber der sprache und die weisheit der Inder في 1808 (وهي السنة التي ظهرت فيها أيضا أول دراسة مقارنة مهمة بالنسبة للميدان الزنجي - الإفريقي أنجزها ليشتنتاين (Lichstentein).

لقد فتح فرانز بوب (Franz . bopp) مجال المقارنة المنهجية في مؤلفه الصادر في 1816 حيث قرب بين تصريف الهندية القديمة أو السنسكريتية والإغريقية واللاتينية والجرمانية قصد محاولة الوصول إلى <<حالة بدائية>> بالاعتماد على الشكل القديم للسنسكريتية واستخراج أصل الأشكال النحوية. لقد كان على المقارنين أن يهجروا هذه النظرة، فيما بعد، غير أن بوب وضع النحو المقارن للغة الهند - أوروبية (Vergleichende Grammatik 1833 - 1849) كما يقول أ. ماييه (A. Meillet) <<لقد وجد بوب النحو المقارن وهو يسعى لشرح الهندو - أوروبية كما اكتشف كرستوف كولومب أمريكا وهو يبحث عن طريق الهند>>.

عرف النحو المقارن فيما بعد تطورا بفضل أعمال متميزة حول اللغات الجرمانية (علماء الجرمانية هم مؤسسو اللسانيات التاريخية) خاصة أعمال جاكوب قريم (Jacob Grimm) الذي درس بعد راسك تطور نظام الصوامت في الجرمانية - وحول اللغات الرومانية نجد Grammaire des langues romanes لـ ديـاز (Diez) 1836 - 1838 وذلك بعد الأعمال الهامة التي أنجزها فر. رينوار (Fr. Raynouard) عام 1821. إن إمكانية تتبع مجموعات هذه اللغات عبر التاريخ ابتداء من زمن بعيد (من خلال نصوص كثيرة تمتد حتى العصر الحديث) وكذا كون نقطة الانطلاق للغات الرومانية كان من حالة لغة معروفة هي اللاتينية، ساهم بشكل كبير في توضيح تطور

اللغات. وهكذا تطور <<النحو التاريخي>> بالموازاة مع <<النحو المقارن>> ممهدا الطريق لهذا الأخير لضبط مناهجه.

عرف النحو المقارن للغات الهندو - أوروبية تطورات هامة بفضل تطور البحوث الفيلولوجية. لقد عرفت فرنسا هذا العلم الذي ترك فيه اللسانيون الألمان أمثال بوت (Pott) وشليشر (Schleicher) وفيك (Fick) بصماتهم، عن طريق ميشال بريال (Michel Breal) الذي ترجم من 1866 إلى 1872 نحو بوب. ومن ثم القيام بمجهودات جبارة ما بين 1870 - 1880 : أرسى <<النحاة المحدثون>> مبدأ انتظام التغيرات الصوتية. وقد تمثلت النتائج التي توصل إليها النحو المقارن للغات الهندو - أوروبية في العمل <<grundriss>> لبريغمان (Brughman) و دالبروك (Delbruck). كما أنه تم استغلال التحريات العلمية التي أجريت في المجال الهندو - أوربي لفائدة عائلات اللغات الأخرى.

وبذلك تأسست اللسانيات التاريخية بصفة عامة والنحو المقارن بصفة خاصة.

وعرف المنهج مناقشات متعددة في العشريات الأخيرة للقرن 19 ميزتها جدالات بقيت مشهورة، والنقاش مستمر إلى اليوم حول بعض النقاط الهامة.

2 – المنهج المقـارن

أ) – أهمية المقارنة : من التقارب الأولى إلى التوافقـات التاريخيـة.

يمكن أن تظهر مقارنة اللغـات المختلفـة توافقـات بـين لغتـين أو أكثر. وهذه التوافقات ذات أشكال مختلفـة.

فهي تتعلق أحيانا ببنية هذه اللغات شـريطة أن تكـون لهـا أنظمـة متماثلة في نقاط مهمة من تنظيمها. ويمكن أن يفسـر هـذا التمـاثل في البنية باستمرار نظام معين عبر تطور لغات تعـود إلى أصـل مشـترك. وبذلك يمكن أن تكون أثرا من آثار قرابة هـذه اللغـات بـالمعنى الـذي سيدقق فيما بعد. غير أن وجودهـا، مـع غيـاب شـواهد أخـرى، لا يشكل مبررا كافيا لاعتبارها الأصـل المشـترك لهـذه اللغـات بصفـة يقينية. وعلى العكس من ذلك فإن وجود اختلافـات هامـة في البنيـة بين لغتين أو عدة لغات لا يثبت أن هذه اللغـات ليسـت ذات قرابـة. فلا توجد إطلاقا نقاط مشتركة بين نظام اللغة الإنجليزيـة ونظـام اللغـة الروسية : ومـع ذلـك فهنـاك قـرابة مثبتـة تـاريخـيا بـين الإنجليزية والروسـية.

وعلى العكس من ذلـك يمكـن أن تكـون التوافقـات ذات طـابع عادي وهنا أيضا يمكـن التميـيز : ليسـت التشـابهات الماديـة، ذات الطابع العام (وجود بعض المصوتات النـادرة وتـردد الأصـوات. الخ...) هي التي تسمح باستنتاج القرابة. فما هـي إلا مجـرد علامـات تقـترح فرضيات بدون قيمة مقنعة أكبر مـن تلـك المتعـلقة بالخـصائص العامة للبنيـة.

إن التطابقات المتعلقة بوقائع متميزة هي وحدها التي تشكل شواهد قوية، علما بأنها ليست كلها ذات دلالة.

فمنها ما ينتج مما سماه هـ. شوشاردت (H. Schuchardt) القرابة الأولية. والحالة الأكثر بساطة هي تلك المتعلقة بالمفردات المحاكية التي تعيد بأدلة نسبية أصوات الحيوانات مثلا للدلالة على هذه الحيوانات نفسها. ويفسر مصدرها الطبيعي تشابهها في العديد من اللغات. وهو تشابه لا يثبت شيئا فيما يتعلق بالعلاقات بين هذه اللغات. فالعصفور الذي نسميه coucou يسمى kōkiláh في السنسكريتية و kōkkux في الإغريقية و cucūlus في اللاتينية: ويوجد هنا بوضوح نمط تعبير يحاكي الصوت المضاعف بانتظام عند العصفور. ولا يفترض تشابه الأشكال أي ارتباط بين اللغات التي تستعملها. إن هذه التعبيرية للمفردة هي التي جعلت الكلمة اللاتينية cucūlus، والتي لا تزال ممثلة في البروفنسالية بـ cougúou وفي التوسكانية بـ cuculo، لا تعرف في الفرنسية تطورا صوتيا عاديا: فـ "c" الثاني الذي من المفروض أن يزول في هذا الموقع، احتفظ به أو عزز لتمكين المفردة من المحافظة على تعبيريتها ومنه cocu المحتفظ بها في الفرنسية الحديثة بمعنى الزوج المخدوع (حسب سلوكات أنثى الكوكو coucou) ثم بعد الانتقال من o إلى ou وإدغام الصائتين نصل إلى coucou.

يصعب تحديد الحدود التي يجب أن تدخل فيها القرابة الأولية بدقة (ينظر في ص 116 – 117) وهي مع ذلك محدودة جدا. وحتى بالنسبة للكلمات التعبيرية فإن التوافقات ليست عموما صارمة، وأحيانا تنعدم.

وتبقى الحالات التي تكون فيها التوافقات بين عناصر مادية ليس لها أي أساس طبيعي ظاهر. فهذه التوافقات هي الوحيدة التي يعتمد عليها، ومع ذلك فهي مفتوحة على عدة تأويلات. يمكن أن تكون وليدة الصدفة ولا تفترض أية علاقة بين هذه اللغات حتى في حالة وجود هذه العلاقة فعلا. وكثيرا ما أعطى مثالا الإنجليزية bad والفارسية bad اللذان لهما نفس الشكل ومعناهما "رديء". ورغم أن اللغتين لهما قرابة (هندو - أوربيتان)، فإن هذا التشابه عارض فالتاريخ المعروف لكل من المفردتين يثبت أصلا مختلفا تماما.

لكن لا يمكن اعتبار كل التطابقات عارضة فبالنسبة لمعظم عناصر لغة ما ليس هناك طابع ضروري، في العلاقة بين مضمون التفكير وبين التعبير عنه ببعض الأصوات المعينة : فهي <<اتفاقية>> ولا يمكن أن نعطيها تفسيرا تاريخيا. وهكذا فإننا نعرف أنه للدلالة على noeuds كشيء نجمع الأصوات في كلمة noeud ناظرين إلى الشكل الذي تأخذه الكلمة اللاتينية nodus <<noeud>> التي لا تفسر هي نفسها إلا تاريخيا عن طرق شكل لحالة لغة سابقة.

إذا سمينا ثوبا فرنسا بـ <<redingote>> فليس لأن هذه الكلمة مرتبطة بالضرورة بهذا الثوب، إذ لا تفسر إلا باعتبارها دخيلة من الإنجليزية : فـ redingote يمثل بشكل مكيف نسبيا الكلمة " " reding - coat التي تعرف بدورها تفسيرا تاريخيا بحتا في الإنجليزية.

هناك تفسيرات : تفسير حالة أكثر حداثة بحالة أكثر قدما داخل استمرارية تاريخية وتفسير بواسطة الدخيل. ولا يكون التفسير اللغوي في كليهما إلا على مستوى التاريخ.

وكذلك استعملت الفرنسية والإسبانية والإيطالية كلمات ذات أشكال متشابهة للدلالة على " bon ". ففي الفرنسية bon وفي الإسبانية bueno وفي الإيطالية buono ولا يمكن إرجاع سبب هذا التوافق إلى وجود علاقة ضرورية بين فكرة bon وأشكال كـ buono, bueno, bon. فالتفسير هنا تاريخي أيضا : فالأشكال الثلاثة هي استمرار للصفة اللاتينية bonus.

ويسهل التفسير التاريخي هنا لأننا نعرف أن الفرنسية والإسبانية والإيطالية هي أشكال مختلفة مأخوذة من اللاتينية.

لنفرض الآن أنه يلاحظ وجود تشابه العديد من العناصر بين لغتين أو لغات متعددة دون أن نعرف أصلها. إن هذا التشابه يفرض، تبعا للطابع الاتفاقي للعبارات اللغوية، تفسيرا تاريخيا : فهو يفترض وجود علاقة تاريخية بين هذه اللغات.

ما هو نوع هذه العلاقة ؟

قد تكون من نفس نوع العلاقة الموجودة بين الفرنسية والإسبانية والإيطالية، أي من النوع <<الوراثي>> مفترضة وجود نسب مع

إدراج فرضية وجود <<قرابة>> بين اللغات المدروسة. غير أننا نجد هنا أيضا النوع الآخر من التفسير التاريخي. فإذا كانت للفرنسية والإسبانية والإيطالية كلمات متشابهة للدلالة على الليمون.
فبالفرنسية cidre والإسبانية sidra والإيطالية sidro فإن هذا التوافق ليس ناتجا من أصلها المشترك. فالجانب الصوتي للشكلين الإيطالي والإسباني يفترض وجود دخيل من الفرنسية لأنها الوحيدة التي حافظت على استمرار الشكل cisera* للاتينية الدارجة (تغيير cisera، وهي كلمة جاءت من العبرية بواسطة إغريقية).

كيف يمكن اختيار أحد التفسيرين التاريخيين، القرابة أو الدخيل؟

في حالة علاقة القرابة، تظهر التوافقات بعدد كبير ويمكن التحقق منها في أنظمة. ذلك هو الحال بالنسبة للضمائر في اللغات الرومانية (Romanes) فالضمير <<je>> هو في الفرنسية القديمة " jo " وفي الإسبانية "yo" وفي الإيطالية "io " وفي الرومانية "eo". وبالنسبة لـ" tu" نجد" tu " في اللغات الأربع. إذا كان لهذه الأنظمة في هذه اللغات طابعا مميزا، فإن للتطابق دلالة خاصة. وهكذا فإن للفعل être مع الشخص الثالث نفس النمط الصرفي للمقابلة بين الفرد والجمع في اللغات الرومانية، وهو نمط صرفي خاص به : est و sont في الفرنسية. Es و son في الإسبانية، è و sono في الإيطالية.

وإذا كنا نستطيع تمييز التوافقات الناتجة عن الدخيل والتوافقات الناتجة عن القرابة، حتى داخل اللغات ذات القرابة، فلأن التطورات اللغوية تقدم بعض الخطوط العامة التي تمكن من وضع منهج مقارن صلوم.

ب - انتظامية التطور

يتجلى تطور العناصر المادية للغة ما (أي المحافظة والتجديد) بانتظامية سمحت باعتماد مصطلح <<قوانين>> وليس لهذه القوانين طابع عام : فهي خاصة بلغة معينة وبزمن معين من تطورها، ولكن ينتج منها قانون عام يسمى <<**قانون ثبات التغيرات الصوتية**>> : فثبات مصوت أو تغيره يتحقق، في مرحلة ما، بنفس الكيفية في كل كلمات اللغة عندما يوجد هذا المصوت في نفس الشروط.

وهكذا فحين يتبع o اللاتيني المفتوح والمنبور بـ y (I صائت) ذي الأصل اللاتيني أو الروماني والذي يمكن أن يتركب معه (وهو ما يتحقق أيضا في شروط محددة) فينتج في الفرنسية مركب هو **wI** (يكتب ui). وهي حالة y الناتج عن تطور c اللاتيني : nócte التي أصبحت nóyte* تتحول إلى nuit، و **óctō** إلى huit، الخ.

يمكن لبعض الوقائع أن تعارض جزئيا تجليات قانون ما، لأنه بإمكان القوانين الصوتية إذا كانت ممارسة بشكل مطلق أن تؤدي إلى تكسير بعض الخصائص الصرفية وإلى هدم بعض الأنظمة. غير أن

* - تطابق صارم. فقد أمكن لبعض الوقائع الخاصة أن تعارض أو تخفي انتظامية التطور.

تنظيم لغة ما، باعتبارها نظام أنظمة، يتجه نحـــو الثبـــات في مواجهـــة التطورات الصوتيـــة.

لقد كانت الخاصيـــــة tis للشـــخص الثـــاني في الجمـــع في اللاتينيـــة مشـــتركة بـــين amā-tis (تحبـــون vous aimez) و debē - tis) (يجـــب عليكـــم) vous devez و dormi-tis (تنـــامون) vous dormez و -dici tis (تقولون) vous dites. وأنتجت التطورات الصوتية الـــتي تتـــم بحريـــة وفق القوانين الخاصة بهـــا أشـــكالا متباينـــة : am-ez , dev-eiz (ثم -dev oiz) di-tes, dorm-iz، لا يمكـــن فيـــها إدراك أيـــة خاصيـــة للشـــخص الثاني في الجمع. وهنا فعل **القياس** فعله إذ نجـــد في الفرنســـية الحديثـــة ez في مختلـــف المواقـــع : vous aimez (تحبـــــون) vous devez (يجـــــب عليكـــم)، vous dormez (تنـــامون) ولم يبـــق ثابتـــــا إلا vous dites (تقولون) ولكنـــــه <<اســـتثناء>> (نجـــد disez - مثـــل vous prédisez الخ... بالنسبة للمركبات باستثناء redire) وبذلك فـــإن إجـــراء تنظيميـــا قد تأسس في حالات متعددة وعـــزز أنظمـــة. وسمـــح القيـــاس بتنظيـــم السلسلة في النظام الجديـــد وفـــق نمـــوذج أحـــد الأشـــكال العـــــادية صوتيـــا الذي أثر تأثيرا كبيرا وتحكم في تطور كـــل النظـــام.

وإذا ظهر خارج كل تأثير من هذا النوع خـــرق للقـــانون الصـــوتي فإنه يفس بتأثيرات تعـــود في العمـــوم إلى ظـــاهرة الدخيـــل. فالكلمـــة الفرنسية abeille (نحلة) لا تمثل النتيجة الصوتيـــة الطبيعيـــة لـــــ apicula : فالـــ p في الكلمة اللاتينيـــة كـــان مـــن المفـــروض أن يتحـــول إلى v مرورا بـــ b كما هو الحـــال في rive النـــاتج مـــن ripa و savoir مـــن sapere. لقد تأتى الشكل abeille من اللهجات الجنوبيـــة حيـــث توقـــف التطور عنـــد b.

جـ) - مفهوم التطابقــات

لقد استعملت في بداية هذا العرض ألفاظ عامــة مثــل تشــابهات أو لفظة توافقات إشارة إلى الوقائع الدالة المستنتجة مــن مقارنــة لغتــين أو عدة لغات. وبتطبيق مبدأ انتظاميــة التطــور الصــوتي في مجــال النحــو المقارن استبدلت المفاهيم العامة بمفهوم دقيق هــو **التطابقــات**.

إذا كــانت الفرنســية تعطــي nuit و huit لــــ (m) nocte و octō تبعا لتطور منتظم، فإن الحــال نفسْــها بالنســبة للإيطاليــة والإســبانية اللتين تعكسان تطورا مختلفــا ولكنــه منتظــم : فالإيطاليــة otto ، notte الخ... والإسبانية ocho ، noche الخ... فهناك مثال للتطــابق بــين هــذه اللغات الرومانية الثلاثة. فمجموع التطابقات المســتخلصة مــن لغتــين أو عدة لغات يعكس قرابة هذه اللغات فيمــا بينــها.

وتتأسس فرضية القرابة عموما في البحوث المقارنة علــى تشــابهات. ولكن نتيجة العمل هي الوصول إلى نظــام مــن التطابقــات لا يســتلزم أي تشابه بين أشكال اللغات المقارنة. ولنأخذ مثــالا هنــدو - أوروبيــا ذكره أ. مابيــه (A. Meillet) هــو اســم العــدد <<deux>> فــهو في السنســكريتية d(u)vā وفي الإغريقيــة dúo وفي اللاتينيــة duo وفي الأرمينية erku. ويبدو الشكل الأرميــني شــاذا غــير أنــه تم تســجيل تطــابقين واضحــين بــين - dw - du/(w) في لغــات أخــرى و erk الأرميني (إلا أن dw في بداية الكلمة لا يوجــد في الهنــدو - أوروبيــة إلا في أمثلة قليلة) : يوجد هنا، وبدون أي تشابه، تطــابق ذو دلالــة قويــة .وكذلك، على ضوء الجدول العــام للتطابقــات في اللغــات الهنــدو - أوروبيــة، فــإن الكلمــة الإغريقيــة adēn - << glande>> - (غــدة)

والكلمة اليونانية inguen (دمل) اللتـــان لا تتشـــابهان إلا قليـــلا تبـــدوان متبادلتين (superposables) تماما عند اللســـــاني.

فصيغ التطابق وحدها هي التي تحـــدد إذن يقينيـــة التوافقـــات غـــير العرضية. ومن الواجب تحديد طبيعة هذه التطابقـــات بدقـــة:

فلا يتعلق الأمر بتطابقات ثابتة بين مصوت أو عدة مصوتـــات للغـــة ما ومصوت وعدة مصوتـــات للغـــة أخـــرى : يوجـــد تطـــابق بـــين مصوتات من لغة لأخرى في حالـــة كـــون هـــذه المصوتـــات اســـتمرار لنفس المصوت القديم. وعليه يكون هنـــاك تطـــابق بـــين qu/c أي (k، K) في اللاتينية و k/t/p في الإغريقية. ولكن ليس بصفـــة عامـــة وإنمـــا فقط في الحالات التي تعتبر فيـــها هـــذه المصوتـــات اســـتمرارا لمصـــوت وحيد هو K* في الهندو - أوروبي الـــذي أصبـــح K أو K في اللاتينيـــة و k.t أو p في الإغريقية في شروط محددة. فهناك مثـــلا تطـــابق بـــين qu اللاتيني و t الإغريقي أمام I في ضمير الاستفهام غـــير المعـــروف : فـــ quis اللاتيني و tis الإغريقي ناتجان مـــن الأصـــل الهنـــدو - أوروبي I K. فلا معنى للتطابقات إذن إلا بالرجوع إلى اللغـــة المشـــتركة الأولى.

د) - التعامل مع الشـــواهد

إن تطبيق هذا المبدأ، الذي يـــدو بســـيطا في ذاتـــه، يعكـــس علـــى المستوى العلمي صعوبات خطيرة نســـبيا.

فكل عنصر من اللغة يستند على ربط معنى بمجموعة من المصوتات (وبطبيعة الحال مع مصوت وحيد). ويكون التطابق تاما حينما يكون صارما على المستوى الصوتي حسب النظام العام للتطابقات بين اللغات التي هي محل مقارنة، وقاطعا على المستوى الدلالي (معنى واحد للكلمات ونفس الوظيفة للمورفيمات) : تلك هي الحال في أسماء الأعداد المذكورة سابقا. غير أن هناك ترددا في تقريب شكلين حينما يكون التطابق غير صارم في نقطة من النقاط. فيمكن لبعض الأشكال أن تتماثل تماما دون أن يكون لمعانيها علاقة ظاهرة، والتطور الدلالي الذي يمكن الاستناد عليه لا يمكن تحديده بوضوح. وعلى العكس من ذلك فإن أشكالا ذات معنى واحد أو متقارب تدعو إلى التقريب إذا كانت تعكس بعض التوافق على المستوى المادي. ولكن لا يؤدي دائما هذا التوافق إلى تطابق صارم. فقد أمكن لبعض الوقائع الخاصة أن تعارض أو تخفي انتظامية التطور.

يظهر نظام التطابقات في الغالب تعقيدا كبيرا : يمكن أن يؤدي نفس المصوت القديم إلى مصوتات مختلفة جدا في اللغات ذات القرابة حسب الشروط الصوتية لتطوره. ويتضاعف كذلك التعقيد الناتج بواسطة عوارض خاصة ناتجة عن ظواهر الإدغام والإبدال والتماثل. وفي الأخير استطاعت <<قوانين صوتية>> متتابعة أن تضيف آثارها خلال التطور الذي أوصل كل لغة ذات قرابة من الحالة المشتركة الأولى إلى الحالة المعروفة التي ننطلق منها في عملنا. وهكذا فتقريب أشكال اسم العدد " خمسة " في مختلف اللغات الهندو - أوروبية : اللاتينية quinque (والفرنسية cinq) والإنجليزية five والروسية piat' والإغريقية pénte والأرمينية hing لا يستدعي فقط إدخال نظام تطابقات تفسر على ضوئه صوامت هذه الأشكال انطلاقا من p*

ابتدائي و κ* (لهوي يلاحقه لهوية - شفوية) داخلي في شكل هندو - أوروبي هو penk e*ولكن كذلك الأخذ بعين الاعتبار ظواهر التجانس والتخالف فالـ qu (k) الابتدائي في الشكل اللاتيني quinque يفسر هم طريق التجانس : نطق مسبق لـ qu في المقطع الثاني، والمرور إلى cinq في الفرنسية يفسر عن طريق الشكل cinque في اللاتينية العامية الموجود في النقوش والناتج من استبدال qu الأولى بالثاني.

فالـ κ* الهندو - أوروبي المذكور آنفا عرف في الإغريقية عدة معالجات تبعا للسياق الصوتي وآل إما إلى k أو t أو p (في التتابع الزمني لهذه التطورات) غير أن هناك تغيرات حدثت لاحقا : فالـ k الحديث الناتج من κ تغير أمام y ليصبح مثل k القديم الموروث من الهندو - أوروبية ألخ...

تلك هي الصعوبات، ويبدو تحقيق تطابقات صارمة ودقيقة هدفـ منشودا وتتويجا لبحوث طويلة. وتبدو التطابقات تدريجيا موجهة العمل ومستفيدة منه في الوقت نفسه، وفي هذه الحالة يجب أن يشتمل المنهج المقارن على مبادئ إضافية وعملية توجه عملية البحث من تطابقات صارمة بصفة أكيدة.

والسؤال الذي يطرح حينئذ يتعلق بالاختيار الذي يجب اتباعه بالنسبة لهذا البحث، بين العناصر الدالة التي تتكون منها أي لغة، أي بين العناصر المعجمية والعناصر <<النحوية>> أو <<الصرفية>> (فطبيعتها متغيرة تبعا للأنظمة اللغوية). وهذا الاختيار يفترض التمييز

بين العناصر الأكثر ثباتا والعناصر الأقـــل ثباتـــا : إلا أن التجديـــد عـــن طريق الدخيل يحدث بسهولة في المعجم مقارنـــة بـــالنحو.

إن الوقائع الصرفية المتميزة هي تلـــك الـــتي تكـــون مقارنتـــها ذات قيمة أكثر قطعية : المورفيمات الإعرابيـــة في حالـــة اللغـــات كاللغـــات الهندو -أوروبية، بناء المواضيع أي أجزاء الكلمة الـــتي تخضـــع للإعـــراب في أنظمة صغيرة حيث تدخل مقابلات كالمقابلة بـــين مواضيـــع المفـــرد ومواضيع الجمع في نفس السلسلة الفعلية (تلـــك هـــي الحـــال بالنســـبة للفعل <<être>> في الحـــاضر. (ينظـــر في ص 77) الخ... وتعتـــبر بقـــايا النظام الفعلي المعقد للهندو -أوروبية علامات قويـــة الدلالـــة فيلغـــات المجموعة. ودراسة بـــوب (Bopp) الـــتي وجـــهت النحـــو المقـــارن في طريقة، كانت تتعلق بتصريف الأفعال في الهنـــدو - أوروبيـــة. وحينمـــا يتغير نظام لغة ما يترك النظـــام القـــديم آثـــارا تـــأخذ شـــكل الشـــذوذ والخروج عن القياس. وتوافق هذا الخروج عـــن القيـــاس هـــو علامـــة قيمة جدا. فكثرة المورفيمات في لغة كـــالهندو - أوروبيـــة ذات صـــرف جد معقد قد سهل بشكل كبير البحث المقارن كمـــا ســـاهم في تحديـــد نظام دقيق للتطابقات. وعلى العكس من ذلـــك فإنـــه يصعـــب التطبيـــق الصارم للمنهج المقارن على لغـــات ذات صـــرف بســـيط مثلمـــا هـــو الحال في لغات الشرق الأقصى عمومـــا. وهـــذا مـــن الأســـباب الـــتي جعلت إنشاء المجموعات لا يتم بطريقة يقينية في آســـيا الشـــرقية.

إن اللغات التي توفر توافقات هامة وعديـــدة علـــى مســـتوى البنيـــة، ولكن تقل أو تنعدم فيها التوافقـــات علـــى مســـتوى التفصيـــل المـــادي للأشكال، تترك بعض الشكوك حول العلاقـــة الـــتي تجمعـــها. والأمـــر

واضح في المجال الأورالي - الألتييكـــي خاصـــة بالنســـبة للروابـــط الـــتي تربط اللغات الأورالية، الـــتي تم التثبـــت مـــن وحدتهـــا مـــع اللغـــات الألتييكية، بواسطة تطابقات محددة. فالتوافقـــات علـــى مســـتوى البنيـــا لافتة للانتباه وقد تمكن مـــن إعطـــاء وصـــف عـــام مشـــترك للغـــات الأورالية - الألتييكية غير أن وحدة أصل العناصر المادية لهـــذه اللغـــات تبقى مثار شك : فنسبة الاحتكاك والتفاعل يصعـــب تحديدهـــا.

يعتبر المعجم العنصر الأكثر تغيرا في اللغة، وهو المجـــال الـــذي تحـــدد فيه بقوة الظـــروف الخارجيـــة، الاجتماعيـــة لحيـــاة لغـــة، أو للتطـــور الحضاري الذي تكون هذه اللغـــة أداتـــه والعاكســـة لـــه. فـــالمفردات الموروثة من الرصيد المشترك من طرف اللغات المتعـــددة المنحـــدرة مـــن حالة لغة قديمة قد يكون محدودا خلال زمن طويل نســـبيا مـــن التطـــور المنفصل، يشكل الدخيل من اللاتينيـــة والفرنســـية قســـطا كبـــيرا مـــن المفردات الإنجليزية، كما جددت اللغـــات الأوراليـــة مفرداتهـــا الـــتي لا تحتفظ إلا بعدد قليل منها من الأورالية القديمة. وهذا الأمـــر نـــاتج عـــن الاحتكاكات التي تمت بين الشعوب التي تتكلـــم هـــذه اللغـــات وبـــين مختلف الحضارات الأجنبية. ويبـــدو، مـــع ذلـــك، أن هنـــاك احتفاظـــا ملحوظا با <<المعجم الأساســـي>>. (ينظـــر في ص 91).

إن محاولات التقريب بين مختلـــف اللغـــات الهنديـــة لأمريكـــا وبـــين اللغات غير الأمريكية كـــانت تنقصـــها في معظـــم الأحيـــان الرصانـــة، نظرا لتمحورها حول عناصر من المعجم. ولا يكـــون للتقاربـــات قيمـــة راجحة إلا في حالة إدراج عناصر صرفية في المقارنـــة (وهـــو مـــا تحقـــق في بعض الحـــالات).

ويبدو أن الاعتبارات السابقة تفرض على المقارنين منهجا أكثر ارتباطا بالنوعية منه بالكمية. فعليهم الاختيار لإجراء مقارنتهم داخل مادة لغوية تتفاوت في الكشف عن عناصرها.

لقد تمت محاولة استعمال منهج إحصائي وإدراج حساب الاحتمالات، وفي الواقع، فإن ما يمكن استنتاجه من هذه الحسابات يبدو قليل الأهمية غير أنه من المهم في المقابل التقييم الإحصائي للعناصر القديمة للغة المشتركة المحفوظة في اللغات المختلفة بعد عملية تفككها. وهناك بعض الأعمال التي تمت في هذا الاتجاه.

هـ) - مفهوم القرابة

ذلك كان المنهج المقارن المستعمل لمعرفة القرابات. فكيف يمكن تقديم هذه القرابة ثانية؟ يوجد هنا مفهوم أثار، منذ قرن تقريبا، نقاشات متعددة. وقسم اللسانيين إلى عدة مدارس، فشليشر Schleicher)، المقارن الأول الذي قام بإعادة بناء دقيقة للهندو - أوروبية، قدم تسلسل اللغات الهندو - أوروبية على شكل شجرة، رامزا بذلك إلى أن سلسلة نسب اللغات كسلسلة نسب العائلات.
: (Théorie de k'arbre g énéalogique : Stammbaumtheorie)
فمن الجذع <<اللغة الأم>> الهندو - أوروبية خرجت <<اللغات - البنات>> بواسطة تفرعات متتابعة وتفرعت بدورها كل لغة منها.

ولا تعطي هذه النظرية صورة صحيحة عن تطور اللغات. ففي المحل الأول لا يوجد <<تسلسل>> واللغة <<ذات القرابة>> ليست إلا أشكالا **متطورة بشكل متنوع عن اللغة المشتركة.**

وعلى العكس، فإنه تم الاحتفاظ بفكـــرة الفصـــل المتتـــابع لمختلـــف لغات المجموعة وقد تم، بجهد، التعرف، في تـــاريخ تجـــزؤ وحـــدة لغويـــة بدائية، على وحدات وسيطة. وتتجلى هـــذه الوحـــدات مـــن خـــلال تغيرات منتظمة خاصة بمجموعات لغات. وهكـــذا أدت تغـــيرات هامـــة مشـــتركة بـــين اللغـــات الجرمانيـــة إلى قبـــول وجـــود <<جرمانيـــة مشتركة>> بين الهندو - أوروبيـــة المشـــتركة وبـــين مختلـــف اللغـــات الجرمـــانية. غير أنـــه ليس من السهل دائمـــا إيجـــاد مراحـــل تفكـــك عائلة لغـــات.

غير أن Stammbaumtheorie تخفي أمريـــــن :

1) - الطبيعة المتجانسة نسبيا للكيـــان اللغـــوي الأول وفيمـــا يتعلـــق بالهندو - أوروبية، فمن بين الاختلافات الموجودة بـــين لغـــات مختلـــف المجموعات المشكلة لمجمـــوع الهنـــدو - أوروبيـــة، مـــا يمتـــد إلى فـــترة <<التوحد>>. فقد تم تحديد لهجـــــات في الهنـــدو - أوروبيـــة،، وعليـــه عرفت الهندو - أوروبية المسماة مشتركة تنـــويعات مثلمـــا هـــو الحـــال في كل لغـــة.

2) - غياب الخطوط الفاصلة بوضوح بين لغـــــات مجموعـــة : فمـــن غير الممكن فصل اللغات المنحدرة من أصل مشـــترك كفـــروع متمـــيزة: وبعيدا عن تقابلها كلية بمجموعة منســـجمة مـــن الســـمات المتمـــيزة، فهي ترتبط فيما بينها بسلســـلة مـــن الحلقـــات هـــي بمثابـــة الســـمات الخاصـــة.

يرتبط هذان الأمران ارتباطا وثيقا. فهما مدمجـــان في الصـــورة الـــتي اقترحها جـــ. شميدت (J. Schmidt) عام 1872 لعلاقـــات القرابـــة بـــين

اللغات الهندو - أوروبية. فقد طبق ج. شميدت على الهندو - أوروبية الرؤى التي عرضها هيجو شوشاردت (Hugo Schuchardt) من قبل بالنسبة للغات الرومانية والمحددة لـ "Théorie des ondes" -(wellentheorie).

وفسرت الفوارق داخل مجموعة لغوية بإشعاع سمات خاصة تنتشر كالموجات والفواصل التي تحدد مجالات الإشعاع متميزة بالنسبة لكل سمة وتتقاطع بشكل معقد.

استقلت هذه الرؤى مدعومة بتعاليم الجغرافيا اللغوية، من طرف بعض اللسانيين، خاصة منهم الإيطاليين، ج. بونفانت (G. Bonfante) و ف.بيزاني (Pizani) اللذين لم يريا في التطور سوى تغيرات مستقلة، ويتوسع كل تغير منها بشكل خاص وهو ما يؤدي إلى اعتبار الوحدات الوسيطة ضربا من الوهم.

غير أننا إذا اعتمدنا فقط على وقائع خاصة، تغيرات معزولة، فإن التفريق بين القرابة والدخيل ينحو نحو الزوال. وهكذا لا نتعرف إلا على Mischsprachen (لغات ممزوجة أو خليط لغات). فكل حالة لغة تمثل لغة مختلطة، وليس هناك أي داع لتفضيل السمات التي تكون مشتركة بين اللغة التي هي محل دراسة وبين حالة لغة سابقة. وبعودتنا نسبيا في الزمن نكتشف أن هذا العنصر هو نفسه عبارة عن دخيل. وإذا أخذنا الأمور بصورة أخرى نقول إن الإنجليزية مثلا، لها نسبة قرابة مع اللغات الجرمانية وأخرى مع الفرنسية، الخ... تبعا لنسبة السمات المشتركة بينها وبين مختلف هذه اللغات. كما عبر عن ذلك ف.بيزاني (F. Pizani) أن <<القرابة اللغوية ليست شيئا آخر سوى مجموعة العناصر التي نلاحظها بين لغة ولغة>> وكذلك تحدد <<درجة القرابة الكبيرة نسبيا بالعدد الكبير نسبيا من العناصر المشتركة بين لغتين أو عدة لغات وبين مجموعتين أو (مجموعات) لغات>>.

ويقف ضد هذا الاتجاه المستمد من نظريات هـ. شوشاردت (H. Schuchardt) الاتجاه المدعم باستمرار من طرف أ. ماييه (A. Meillet) والذي يعرف القرابة من منظور المتكلمين لا من منظور اللغة <<ما يحدد قرابة لغوية هو فقط واقع تاريخي فنقول أن لغة منحدرة من أخرى إذا كان للمتكلمين، في كل الفترات الموجودة بين تلك التي استعملت فيها الأولى وبين التي استعملت فيها الثانية، الإحساس والإرادة لاستعمال نفس اللغة... وهكذا تكون هناك قرابة بين كل اللغات المنحدرة من نفس اللغة بنفس الطريقة، وتنتج القرابة حينئذ فقط من استمرار الإحساس بالوحدة اللغوية>> وهو موقف يمكن لنا ترجمته بمفاهيم أساسية خاصة فنقول أن استمرارية هذا الإحساس اللغوي هو مظهر استمرارية نظام لغوي بقي مع تحوله شيئا فشيئا.

ولكن مع شرط ألا ينسى ضرورة اعتبار تاريخ لغة كتاريخ كل منسجم وعدم تفكيكه إلى جزئيات خاصة من التطور. ومن المؤكد أنه يمكن استخلاص الشيء الكثير في اللسانيات التاريخية من المعلومات التي تقدمها الجغرافيا اللغوية. فمن هذه التعاليم تنطلق <<اللسانيات الجديدة>> التي بلورها بعض اللسانيين الإيطاليين (م. بارتلي M. Bartoli و جـ. بارتوني G. Bertoni). فقد سعيا لوضع الجمل المتسلسلة للتطورات اللغوية المدروسة في علاقة مع المعطيات الجغرافية ومدى وموقع الفضاءات التي توجد فيها وقائع التطور الملحوظ.

لقد استعملنا في النقاش السابق كلمة **دخيل** للدلالة على التفاعل بين اللغات، غير أنه يجب التمييز بين أنواع متعددة من الوقائع حسب الظروف التاريخية. فإذا كانت هناك لغة "أ" تمتد إلى مجال كانت تستعمل فيه لغة "ب" ينتج من ذلك حالة ازدواجية لغوية تنتهي إلى الزوال لتبقى إحدى اللغتين فقط فإذا بقيت "أ" وحدها مع وسمها بـ "ب" فهذه حالة لغة المنشأ المؤثرة (Substrat) وإذا بقيت "ب" فإن أثر "أ" على "ب" هو ظاهرة اللغة الطارئة المؤثرة (Superstrat) وإذا كان هناك تجاوز جغرافي فقط أو احتكاك لغتين "أ" و "ب" فالتفاعلات التي يمكن أن تحدث هي ظواهر تأثير وتأثر (Adstrat) (ينظر في ص : 127 - 128).

و) - حدود المنهج / مشكل إعادة البناء

يمكن للمقارنة أن تعرفنا على أن لغتين أو عدة لغات هي أشكال مختلفة مأخوذة من نفس اللغة عبر الزمن، لكنها لا تمكن من إعادة بناء الحالة القديمة لهذه اللغة على عكس ما تصوره المقارنون الأوائل الذين قاموا بمحاولات إعادة بناء، خاصة منهم شليشر (Schleicher). نستطيع وضع بناءات محتملة لعناصر صوتية قديمة وذلك بفحص التطابقات الصوتية بين لغات ذات قرابة على ضوء الصوتيات العامة، غير أنه توجد سمات من البنية وعناصر مادية تزول دون ترك أثر، وتبعا لذلك فلا يتوفر أي دليل للعثور عليها. إن ما يسمح به الفحص المقارن للغات الرومانية من بناء للغة التي تعتبر هذه اللغات أشكالا متطورة منها لا يتطابق مع حالة اللاتينية التي نعرفها مباشرة.

لتكن الأشكال التالية للفعل chanter في ثلاث لغات رومانية : الفرنسية il chante (يغني) ils chantent (يغنون) والإيطالية cantano, canta والإسبانية canta ، cantan فهناك تطابق في (š/k) ch/c بين الفرنسية من جهة وبين الإيطالية والإسبانية من جهة أخرى. وتسمح الصوتيات العامة هنا بأن يكون معقولا اعتبار k هو المصوت القديم : والتطور من k إلى (š) ch يعود إلى ظاهرة تحنيك معروفة، بينما لا يبدو أن الانتقال من ch إلى k نتج عفويا ولكن لا شيء يسمح بإيجاد العلامة الإعرابية اللاتينية t (cantat) مع الشخص الثالث والتي اختفت في اللغات الثلاثة ولا يوجد كذلك ما يسمح بإيجاد التصريف التام للاتينية انطلاقا من اللغات الرومانية.

وهكذا ففي كل سلسلة تطابقات نستطيع أن نعرف بشكل معقول نسبيا المصوت الذي انحدرت منه المصوتات المكونة للسلسلة، ولكننا لا نملك أبدا اليقين للخروج من نظام تطابقات للوصول فعلا إلى المصوت القديم : وفي الواقع، فإن هذا المصوت لا يمكن تحديده عمليا إلا عن طريق نظام التطابقات، وكذلك الحال في الصرف فإننا لا نستطيع أن نضع إلا أنماط تشكيل ناتجة عن الالتقاءات دون التمكن من الوصول إلى أشكال وجدت فعلا في اللغة الأولى.

وفي المقابل فإن البحث نماذج قديمة للبنية، والتي تظهر من خلال مقارنة اللغات ذات القرابة ذهب بعيدا في بعض المجالات. فبالنسبة للهندو - أوروبية حاول إ.بن فينيست (E. Benveniste) عام 1935 أن يعطي مخططا عاما للجذر وأنماط التشكيل الأكثر قدما بالاعتماد على تسلسل الوقائع ومحاولة القيام بتحليل وراثي للهندو - أوروبية نفسها.

ويفرض المنظور البنوي للغات على المقارنين الوصول إلى إعادة بناء بنى منسجمة وليس عناصر معزولة، كما يسمح بتمكينهم من وسائل مراقبة ومن فرضيات عمل.

وفضلا عن ذلك، فإن لساني الولايات المتحدة، ومنهم م. سواداش (M. Swadesh) ظنوا أنه بإمكانهم تقييم مدة التطور المعزول للغات، تصعد إلى أصل مشترك، عن طريق معطيات لغوية. فهناك نسبة ثابتة نسبيا للتغيرات في المعجم الأساسي لكل لغة : وهذه النسبة المحددة هي (الاحتفاظ بـ 77 % إلى 85 % في ألف عام) وتسمح صيغة رياضية، حسب نسبة المعجم الأساسي الذي تملكه لغتان بينهما قرابة، بحساب المدة الزمنية لتطورهما المنفصل. وقد كانت المبادئ نفسها التي يعتمد عليها هذا المنهج مثارا لاعتراضات. فيبدو من الصعب عدم الاكترات بالظروف التي يتم فيها التطور بالنسبة لكل لغة. ومع ذلك فإن بعض التواريخ المتحصل عليها أكدتها المعطيات الأثرية.

3 ـ الحوصلة الحالية للنحو المقارن

يجتمع الجزء الأكبر من لغات أوروبا وجزء هام من لغات الهند ومجموع اللغات الإيرانية ولغات خارج أوروبا ماتت ولغات حية تتجاوز حاليا حدود أوروبا (الروسية، الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، البرتقالية، الإيطالية) في العائلة الكبيرة جدا التي أطلق عليها أولا الهندو ـ جرمانية من طرف المقارنين الألمان ثم أطلق عليها الهندو ـ أوروبية. أما المجموعة الحثية واللهجات التي تدعى <<التوخارية>>

وبعض اللغات غير المعروفة جيدا فإنها ماتت. واللغات الهندو - أوروبية التي لا تزال حية وتنتمي إلى مجموعات منسجمة نسبيا : المجموعة الرومانية التي تمثل اليوم جزئيا المجموعة الإيطالية (Italique) القديمة والمجموعة الجرمانية والمجموعة السلافية والبلطيقية والمجموعة السلتية (التي كانت لها علاقات واسعة مع المجموعة الإيطالية) والمجموعة الهندية والمجموعة الإيرانية والمجموعة الهيلينية ويضاف إليها الأرمينية والألبانية.

ونقبل اليوم عموما وجود عائلة **حامية - سامية** تجمع اللغات السامية (مع العبرية بطبيعة الحال والعربية والأثيوبية) والمصرية (التي لم تستمر إلا كلغة طقوسية مسيحية عن طريق القبطية) وتحتل البربرية واللغات المسماة couchitiques التي تحاذي البحر الأحمر والمشتملة على الاثيوبية في القرن الشرقي لإفريقيا.

وهناك مجموعة كبيرة أورو - آسيوية ما زالت تطرح مشاكل فيما يتعلق بالعلاقات التي تربط اللغات المركبة. تشكل اللغات **الفلندية -المجرية** وعلى رأسها المجرية والفلندية واللابونية (le lapon)، مع اللغات السامويدية (Samoyedes) للاتحاد السوفياتي مجموعة أولى تسمى الأورالية. وللغات التركية لتركيا والاتحاد السوفياتي واللغات المنغولية واللغات التونغوزية وأهما المانجو (لأنها الوحيدة التي كان لها أدب) علاقات تقارب سمحت، بأشكال مختلفة، بقبول وجود وحدة مجموعة **التيكية أو طورانية**. (أو بالمفهوم الواسع الطورانية أو الألتيكية) وتبقى وحدها مثار شك. ويلحق بعض اللسانيين بهذه المجموعة الأورالية - الألتيكية بعضا من لغات الشرق الأقصى

مشكلين بذلك عائلة أورو – آسيوية كبيرة (أورالية – ألتيكية بالمفهوم الواسع) منها اليابانية والكورية والآينو (هوكايدو) ومحيط ساخارين. وفي الأخير تناقش مسألة طبيعة العلاقة (تقارب أو قرابة : ينظر في ص 127 – 128) التي تلحق بالأورالية – الألتيكية مجموعتين أخريين من اللغات هما اللغات المسمات الباليو – سيبرية (– Paléo Siberienne) لمنطقة الشمال الأقصى (سيبيريا) والتي هي في تراجع واضح منذ عدة قرون، وتقترب مجموعتها الشرقية، على الأقل، عن طريق بعض السمات من الأورالية – الألتييكية، وفي المقابل اقترح تقارب بين المجموعتين Yénisséien واللغات <<الصينية – اليبتية>>، وفي المقام الثاني لغات مجموعة **الإسكيمو – اليوت** والتي يمتد مجالها من الجزر الأليوتية في شرق قرينلند والتي يبدو أن الخاصية الأورالية تأكدت فيها.

يوفر جنوب شرق آسيا مجموعات لم تحدد فيها العلاقات بشكل أكيد : **فالتبتية – البرمانية** (ويلحق بها بشكل غير أكيد اللغات الهيمالاتية) والصينية و Thai السيام لجزء من الهند الصينية (اللاوسية والأناميت مع شك كبير) وجنوب الصين **والمونخمر** (Monkhmer) (وأساسا الكمبودية). ويبقى جمع الصينية مع التيبتية – البيرمانية (<<عائلة صينية – تيبتية>>) ومع التايلاندية مثار نقاش.

وفي أوقيانيا، فإن وحدة اللغات **الأندونيسية والبولينيزية** معترف بها منذ أكثر من قرن، وإمكانية وجود قرابة مع اللغات **الميلانيزية** (ميكرونيزيا وميلانيزيا) واردة. تضم المجموعة الأندونيسية اللغة المالية

(ماليزيا والجزر الأندونيسية)، وهي لغة تجارية لجنوب شرق آسيا، وبعض لغات الهند الصينية وملغاشية مدغشقر.

لقد شكلت في أوروبا وآسيا مجموعات أخرى : اللغات **القوقازية** التي تضم مجموعتين شمالية وجنوبية وقرابتها احتمالية فقط، ويلحق بها **الباسكية** المعزولة وسط اللغات الهندو - أوروبية، وطرح مسألة أصلها القوقازي جاد، واللغات **الدرافيدية** للجزر الهندية دون تحديد قرابة، بينما يبدو أن اللغات **الموندية** المستعملة خاصة في الجنوب الشرقي للهند ذات قرابة مع **المنخمر**. وتبقى لهجات جزر أندمان معزولة.

وفي أوقيانيا، لا تسمح لغات البابو (langues papoues) واللغات الأسترالية المعروفة اليوم بشكل أحسن، برؤية انسجامها الداخلي وقرابتها مع مجموعات أخرى.

وتعتبر إفريقيا فضاء لعائلة كبيرة زنجية - إفريقية تضم لغات السودان وغينيا ولغات بانتو، وتشكل لغات Khoïn لأقصى الجنوب عائلة مستقلة.

وفي هذه المسحة السريعة التي لا تبقى إلا قليلا من اللغات معزولة، يظهر أن لغات مجموع العالم باستثناء أمريكا تسمح بتقليصها إلى عدد من العائلات المشكلة نسبيا بوضوح وعدد مرتفع نسبيا أيضا. ويبقى أن فحص التقاربات لا يؤدي دائما إلى الاعتراف بوجود قرابة.

ولا يأخذ هذا المسح بعين الاعتبار بعض التقاربات العامة جدا المقترحة من طرف بعض الباحثين دون درجة كافية من الاحتمال : فقد جرت محاولة تحديد وحدة أصل، ليس فقط اللغات الهندو - أوروبية والحامية السامية ولكن حتى لكل لغات الشعوب ذات الأصل الأبيض. وهي مجموعة سميت النوستراتية (Nostratique) (<<من لغاتنا>>). وتبقى هذه الفرضيات جد هشة وتعتبر اعتباطية من طرف معظم اللسانيين. أما بالنسبة للنظريات التي تتمسك بوحدة أصل اللسان ووحدة أصل اللغات البشرية فإنها تستند على أساس علمي.

وحسب المجموعات المعترف بها، فإن العالم القديم يجمع أقل من عشرين ألف عائلة حية. وتبقى الوضعية أكثر تعقيدا بالنسبة للقارة الامريكية. (يستثنى من ذلك الأسكيمو والأليوت) التي توفر في حدود معرفتنا الحالية عددا كبيرا من العائلات المتميزة للغات الهندية والأمريكية - الهندية يضاف إليها عدد من اللغات المعزولة. وهذه الحالة تدل على أن الدراسات ليست متقدمة كثيرا.
وفي الواقع فإن مجهود جمع اللغات الهندية في أمريكا الشمالية حيث يعرف العمل الوصفي تقدما أعطى فرضيات جادة، بينما تبقى في أمريكا الجنوبية حيث لا تعرف البحوث تقدما ما، كثير من اللغات معزولة.

أما فيما يتعلق ببعض التقاربات التي اقترحها بعض اللسانيين بين بعض اللغات الأمريكية ولغات مناطق أخرى من العالم (خاصة الميلانيرية و الميلانيرية - البولينيرية والأسترالية) فإنها تطرح كثيرا من المشاكل.

ب) - تـــاريخ اللـــغة

لقد تم تناول تاريخ اللغـــة مـــن زاويتـــين : مشـــكلة أصـــل اللغـــة، البحث عن المسار التاريخي الذي تأسس به نظام أدلـــة لغويـــة، مشـــكلة تقدم اللغة والبحث عن التطور الذي نقل اللغـــة مـــن حالتـــها البدائيـــة المفترضة إلى الأشكال التي تعكسها في تـــاريخ معـــين.

و لم يتم تناول البعد الثاني إلا حينما دفـــع تعـــدد الأنظمـــة المعروفـــة إلى الاعتقاد أن هذا التعدد يمثل أنماطا متتابعة في تطـــور اللغـــات.

لقد طرح مشكل أصـــل اللغـــة في القـــديم مـــن طـــرف الفلاســـفة الإغريق الذين اعترفوا، وهم يناقشون مســـألة العلاقـــات بـــين المفـــاهيم والمفردات التي تدل عليها، بوجود إمـــا علاقـــة طبيعيـــة بـــين الاســـم والشيء وإما اتفاق أو صدفة. لقد تم تنـــاول فكـــرة الاصطـــلاح مـــرارا في القرن 18 : أسند ابتكـــار اللغـــة إلى العقـــل الإنســـاني أولا بصفـــة <<طبيعية>> تتمثـــل في التعبـــير بالهيئـــة أو بـــالتنغيم، الخ... ثم بصفـــة <<اصطناعية>> أو منطوقة وقابلة بذلـــك للتحســـن.

ومن جهة أخرى، فـــإن الفرضيـــة الدينيـــة المتعلقـــة بوحـــي اللغـــة المستمد من سفر التكوين دافع عنـــها حـــتى بدايـــة القـــرن 19 رجـــال أمثال دي بونـــالد (DE Bonald) أو دي مـــاتر (DE Maistre).

إن المؤلفات حول أصل اللغة تضاعفت خـــلال القـــرن 19. و كـــان هاردر (Herder) قد نشـــر قبـــل ذلـــك عـــام 1772 مؤلفـــا

عنوانــه (Usprung der sprachen) واعــترف فيــه بمــا أسمــاه رنــان (Renan) <<الوحدة الداخليــة للغــة>> في مقــابل مفــاهيم القــرن 18 حول ابتكار اللغة من طرف العقــل. ونفــس الفكــرة كــانت واردة في صيغة ليتيرغو (Turgot) ليست اللغات صنيع لوجود حــاضرا لــه، (les langues ne sont pas l'ouvrages d'une raison présente à elle même).

وظهرت فيما بعد عدة نظريات منها نظرية المحاكــاة أو نظريــة البــاو - واو، وقد سميت هكذا لأنها تفترض أن الكلمات البدائيــة كــانت لهــا قيمة محاكية. فاستحضار نباح الكلب مثــلا يكــون لتعيــين الكلــب أو عملية النباح، ومنها نظرية الأصل الانفعالي أو نظرية البــوه - بــوه الــتي ترى أن اللغة خرجت مــن تعجبــات تثيرهــا الأحاســيس والعواطــف ومنها نظرية ذات صبغة صوفيــة تتعلــق بالانســجام بــين الأصــوات والأحاسيس أو نظرية الدينغ - دونغ الــتي دعمــت لمــدة مــن طــرف ماكس ميلر (Max – Muller) والتي تــرى أن الإنســان البدائــي كــان يطابق بين عبارة محددة وكل انطباع يستقبله مــن الخــارج.

إن كل هــذه النظريــات تشــترك في عيــب هــو إهمــال العــامل الاجتماعي. وهناك من يدرج هذا العامل : فنظرية يو-هــي-هــو لــ ن. نــوار (N . Noire) (1877 – der Usprung der sprache) ترجــع بلورة العناصر الأولى للغة إلى اهتزازات الأوتار الصوتيــة الناتجــة عــن إرسال النفس بقوة لدعم مجهود عضلي كبير أثنــاء العمــل الاجتمــاعي. ووضعت نظرية ذات أساس اجتماعي من طــرف الأكــاديمي الســوفياتي ن. مار (N. Marr) (ت. 1934) : كان يرى أنه حلــت تدريجيــا محــل اللغة <<الخطية>> (بواســطة الإشــارات) لغــة منطوقــة اســتعملت في

البداية من طرف سحرة يرغبون في استرقاق رجال قبائلهم، وقد استعمل سحرة مختلف القبائل بعض المقاطع كعلامات للانضواء. وكان لضم الطوائف الدينية للقبائل المتزايدة شيئا فشيئا أثر في جمع معقد شيئا فشيئا للمقاطع البدائية.

وعلى العكس من ذلك رفض البعض مسألة التعقد التدريجي انطلاقا من شكل بسيط. فرينان (Renan) يرى في (de l'origine du langage. 1848) أن اللغة تشكلت مرة واحدة <<وخرجت آنيا من عبقرية كل سلالة>> و <<مشكلة كليا منذ اليوم الأول>> أما ستينتال (Stenthal) في (Der Usprung der sprachen) فيرى أن اللغة لم تظهر في مرحلة من التاريخ : فقد ولدت أساسا حينما وصلت الحياة النفسية إلى درجة من التطور مثلما هو الحال عند كل طفل وأخذت صورة منطوقة لأن الجسم ينتج أصواتا هي صدى للروح.

وتفتقر كل هذه النظريات إلى الأساس العلمي. فليس لأية لغة معروفة طابع بدائي يسمح بمعرفة حالة أولية للتطور، كما نفتقد الشهادات عن الماضي البعيد للبشرية.

كما طرح جانبا مشكل أصل اللغة. وهناك عودة إليه من طرف بعض الباحثين في عصرنا. ولم يتمكن من الحصول على نتائج إيجابية من الفكرة التي ترى أنه توجد علاقات بين تطور اللغة وتطور الأعضاء المتحكمة فيها من جهة والروابط الاجتماعية المؤثرة فيها من جهة أخرى.

إن مسألة الأشكال التي يمكن أن تكون قد أخذتها اللغة المنطوقة، التي أصبحت متطورة في مراحلها المتتابعة أي التطور الذي تجلى في

الانتقالات المتتابعة لأنماط محددة من البنيات أوجدت عدة نظريات ليست لها قيمة علمية. لقد استحوذ مشكل الأصول على المقارنين الأوائل للقرن 19. وكثيرا ما فسرت التصنيفات تاريخيا. والمذهب الاكثر قبولا من طرف الجميع يرتبط بالتمييز بين الأنماط الصرفية الكبرى (ينظر في ص 48، 53، 111، 113). فهي تضع في البداية نمطا عازلا ممثلا فقط لعدد محدود من الجذور الأحادية المقطع ثم نمطا لصقيا مؤديا بالتدرج إلى النموذج المكتمل ممثلا في اللغات الإعرابية حيث تكون العناصر الشكلية التي كانت مستقلة عن الجذور وحدات غير منفصلة مع هذه لجذور. ويجمع قريم (Grimm) (Ueber den ursprung der sprache 1852) النمطين الأخيرين في مجال واحد ممتد في التاريخ ويرى الفترة الثالثة والأخيرة من التطور في النموذج <<التحليلي>> وتمثله خاصة اللغات الرومانية التي كسرت وحدة الكلمة المعربة ووضعت الأدوات في شكل كلمات مستقلة، في بداية المفردات التي تعمل فيها. وقد وقف رينان (Renan) ضد هذا المنظور معلنا أن أكبر درجة من التركيب تكون من أول يوم.

لقد سعى لسانيون إلى ربط هذا التطور للغة بتطور المجتمعات : فـ مار (Marr) في نظريته <<المرحلية>> يجمع بطريقة إحاتية، لم يكن لها أبدا صرامة المنهج المقارن، لغات القوقاز والأترسكية والباسكية والتركية التشيكية في عائلة يافشية (japhétique) تعكس بنيتها، في نظره، مرحلة قديمة جدا من تطور اللغات وهي مرحلة نجد لها آثارا في لغات تنتمي إلى مرحلة لاحقة من التطور (اللغات الهندو - أوروبية خاصة). والمرحلة اليافشية نفسها تكون مسبوقة بمراحل أكثر قدما والمراحل اللغوية ارتبطت بمراحل اجتماعية مماثلة في تطور

المجتمعات. فكل الكلمات لكل اللغات ترجع في نهاية الأمر إلى أربعة عناصر أصلية : sal, ber, yôn, roch تكون قد فتحت المجال لمختلف التنويعات والتآليف. وقد رأينا سابقا (ص97) وظيفة هذه العناصر الأصلية. لقد أخذت نظرية مار (Marr)، المدرسة من طرف تلاميذه، صبغة رسمية في الاتحاد السوفياتي، رغم بعض الاعتراضات، إلى غاية التغيير الذي وقع عام 1950 والذي ألغى الماركسية الوهمية لمار (ينظر في ص 131) ويلحق هذا النوع من المشاكل بمجموعة المشاكل المتعلقة بالعلاقات بين المجتمع واللغة وهو مجال ما زال بحاجة إلى دراسة (ينظر في ص 127 - 139).

وما يمكن استنتاجه من تاريخ اللغات ممثلا لمختلف الأنماط لا يسمح أبدا بافتراض تعقيد ثابت يؤول إلى النمط الإعرابي انطلاقا من النمط العازل. وبصفة عامة، فإنه من غير الممكن افتراض أن كل اللغات مرت بمراحل مماثلة. فلغات الشعوب البدائية المعروفة بشكل أحسن اليوم، توفر النماذج الأكثر تنوعا.

إن ما يمكن أن تسمح به اللسانيات التاريخية، الحديثة، المؤسسة على التحليل البنيوي للغات، هو صيغ للتغير نراها مجددا في تاريخ اللغات المختلفة مع تماسك بين مختلف التطورات المؤثرة في مختلف أجزاء نفس النظام اللغوي. إن ظواهر متكررة من هذا النوع، والتي يمكن أن تأخذ منحى دورات تطور حقيقية، ظهرت فعلا في البحوث التاريخية المتعلقة بالأنظمة الفونولوجية. (1)

1) - ينظر خاصة أ.ج. هودريكور: قضايا الفونولوجيا التاريخية، باريس 1972. و ك. حجاج و أ.ج. هودريكور : الفونولوجيا السكونية، باريس 1970.

الفصل الرابع

اللسانيات العامة

أ - لمحة تاريخية

لقد سبق النحو العام (القرن 17 و 18) اللسانيات العامة وهو يبحث في إيجاد مبررات لقواعد انطلاقا من القوانين العامة للعقل البشري. يتعارض النحو العام القديم في عمومه واللسانيات العامة الحالية في كونه ينطلق من العقل، الذي بدا أنهم حددوا قوانينه العامة بهدف أن يجدوا في اللسان مظاهر هذه القوانين. وعلى العكس من ذلك، فاللسانيات العامة تنطلق من واقع اللغة قصد محاولة التعرف على السمات المشتركة بين اللغات المختلفة تاريخيا، ثم استخراج قوانين خاصة بكيفية العمل والتطور والتي لها أهمية عامة. ونظرا لكون اللسانيات العامة وصلت إلى وضع الخصائص المشتركة لكل حالات التعبير عن الفكر، فيمكن لها أن تأخذ من جديد شكل نحو عام. نجد هذه العبارة في مؤلفات علمية حديثة.

زد على هذا، فقد اتخذ النحو العام القديم أشكالا مختلفة عبر الزمن. فقد أسس على قواعد منطقية في نحو **بور روايال** (1660) المشهور، الذي فتح المجال لنظرية عقلية للسان خلفا للاهتمامات الدينية المحضة (ينظر في ص 67) والمعيارية (كانت اللاتينية النموذج الكامل للغة) التي ميزت القرون الوسطى (العصر الوسيط) والتي امتدت إلى عصر النهضة رغم اكتساب معارف متعددة متنوعة حول اللغات.

إن نحو بور روايال، من خلال ما يتسم به، يشـــبه أو يكمـــل بنســـبة كبيرة دوني دي تراسي الذي ألف في القرن الثـــاني قبـــل الميـــلاد كتابـــا في النحـــو بقـــي نموذجيـــا في العـــهد اليونـــاني والرومـــاني؛ أو دوني داليكارناس الذي عرض في القـــرن المـــوالي تنـــوع اللســـان في عشـــرة <<أقسام الخطـــاب>>.

ولكـــن في القـــرن 18، قـــام التجريبيـــون - إلى جـــانب الفلاســـفة والنحاة الذين خلدوا النحو العام المؤســـــس علـــى المنطـــق - باســـتبدال منطق اللسان المبني على المقولات العامة للعقـــل البشـــري بعلـــم نفـــس للسان مرتبط بتحليل تجريبي للنشاط الفكـــري. تمـــيز في هـــذه الحركـــة كونـــديـــاك الذي عرض رؤيته للسان في نحـــوه الـــذي نشـــر متـــأخرا ســـنة 1775.

إلا أنه تم الإحساس بالخطأ الفادح الأساسي للنحـــو العـــام في مطلـــع القرن 18 من طرف لايبنـــز الـــذي بعـــد أن أدرك أنـــه ليـــس للســـان حقيقة إلا في شـــكل لغـــات طـــالب، في "dissertation sur l'origine des nations" (1710) بالقيام بمقارنة عامة بين اللغـــات المعروفـــة. وبهـــذا شق لايبنـــز للسانيات طريقها الحقيقي الذي أرستها فيـــها، بعـــد قـــرن، الأعمال الكـــبرى الأولى المقارنـــة الـــتي ســـبقتها المؤلفـــات الوصفيـــة العظيمة المذكورة آنفا (ينظر في 8، 9) خاصـــــة Mithridate لأدلونـــج.

في بداية القرن 19 خطط راسك لمشروع نحو عـــام مؤســـس، وهـــو شرط أساسي بالنسبة له، على جمـــع كبـــير للمـــادة الممكـــن الحصـــول عليها. فهو يعتبر بالنظر لبعـــض جوانـــب تفكـــير، رائـــد اللســـانيات الحديثة،؛ ميز راسك في بداية هـــذا القـــول الـــذي ســـوف يخصـــص أساسا للتاريخ إلى جانب اللسانيات الخاصـــة الـــتي موضوعـــها اللغـــات المختلفة : لسانيات أخرى مخصصة للســـان في عمومـــه.

وبينمـــا لا زال النحـــو العـــام للتجريبيـــين باديـــــا في "Elément d'idiologie" (1801 - 1815) لــ دي ستوت دي تراســـي، وهـــو مـــن أتباع كونديياك. ويعترف بعد لايبتز الفيلســـوف فولـــني ســـنوات بعـــد ذلـــــك في "Discours sur l'étude philosophique des langues" (1820) أن هذه الدراسة تفترض <<أن ملاحظة الوقـــائع هـــي مرحلـــة أولية ضرورية لكل نظريـــة>>.

وبالفعل فقد عمت ملاحظة الوقـــائع شـــيئا فشـــيئا مســـتفيدة مـــن الفكر الإيجابي. إن الميل للملاحظة التامـــة وللفحـــص الدقيـــق لتفـــاصيل الوقـــائع ظـــهر في اللســـانيات كمـــا في الأدب، وخاصـــة في دراســـة الأصوات بالصرامة التي ميزت الأبحـــاث الصوتيـــة.

إن الشيء الذي زحزح النحو العـــــام شـــيئا فشـــيئا هـــو الأبحـــاث التاريخية التي خرجت منها اللسانيات التاريخية وعلـــى الخصـــوص النحـــو المقـــارن.

لم يلج اللسانيين طريق الأبحاث العامـــة حـــول اللســـان إلا في بدايـــة القرن 20 وذلك بعد إدراكهم الخاص بعلمـــــهم وبعـــد الارتكـــاز علـــى القاعدة الصلبة المتمثلة في الأبحاث المتواصلة منـــذ قـــرن.

لقد ســـبـــق لكـــتـــاب م. قـــرامـــــون المـــوســـــوم dissmilation consonatique dans les langues indo européennes et dans les langues romanes (1895) أن وضع أسس صوتيات عامة في نهايـــة القـــرن 19.

لقد تم إعلان نهاية البحث التاريخي حينما صـرح أ. مـايي في درسـه الافتتاحي لـدروس في النحـو المقـارن بـالكوليج دي فرانـس في 13 فيفري 1906 أن <<التـاريخ أصبـح بالنسـبة للسـان وسـيلة وليـس غاية>>. في نفس السنة، بدأ سوسير، في جامعة جنيـف يخـرج أفكـاره التي ستكون الأساس الرئيسي للأبحـاث اللاحقـة.
لم ينشر **دروس في اللسانيات العامـة** إلا في 1916 بعـد وفاتـه. لقـد أعطى فكر دي سوسير في الوقت نفسه دفعا حاسمـا للسـانيات العامـة وأدخل مفهوما جديدا ومثمرا للغـة.

على الرغم من هذا كانت الأبحاث التاريخيـة للقـرن 19 مصحوبـة برؤى عامة حول كيفية عمل اللسان. ولكـن هـذه المفـاهيم كـانت تتمثل في خلط اللسان بظواهر أخـرى.

لقد أعتـبر اللسـان، بتأثـير البيولوجيـا، كائنـا حيـا واعتـبرت اللسانيات علما طبيعيا. بلور شليشر نظرية حول حيـاة اللسـان مبنيـة علـى مبـادئ داروينيـة (Die darwinsche theorie unc die sprachwissenschaft) (1863) وصرح بأن منهج علـم اللسـان هـو نفس منهج العلوم الطبيعية الأخـرى.

وفي نهاية القرن 19 استمد النحاة المحدثـون رؤاهـم المنتظمـة سـواء من الفيزياء أم من علم النفس اللذين ورثـا منهجيتـهما مـن الفيزيـاء الكلاسـيكية بالنسـبة لـه. بـول مؤلـف Prinzipein der sprachgeschichte، تنبني نظرية اللسان على علم للنفـس ثم النظـر إليـه

على أنه آلية للعقل. طرح النحاة المحدثون مثل أوستوف في أبحاثهم التاريخية قوانين مطلقة : <<تعمل القوانين الصوتية بصفة عمياء وبضرورة عمياء>>.

لقد اتبع تطور الفكر اللغوي تطور الفيزياء وعلم النفس اللذين يستعينان كلاهما بمفهوم البنية. يسند <<علم نفس الشكل>> للظواهر النفسية بنية تجعل من النشاط الفكري أمرا آخر غير مجموعة من الإدراكات. وهذا المفهوم نفسه للبنية يلعب في اللسانيات دورا أساسيا.

من ناحية أخرى، نتج عن السلوكية والسيرية الامريكية في القرن 20 مفاهيم <<آلية>> جديدة. إن الحركة الآلية التي بواسطتها استطاع بلومفيلد أن يؤثر تأثيرا كبيرا في الولايات المتحدة تعرف بمقابلتها للعقلانية وهي مذهب ثنائي يستعين في تحديد الظواهر البشرية بكلية تسمى <<عقلا>>؛ وفي مقابل هذا وضعت السلوكية مبدأ مفاده أن كل السلوكات البشرية، ومن بينها اللسان، يمكن تفسيرها دون الرجوع للعقل، كما أن تغيراتها ناتجة عن تعقيد نظام الجسم البشري. نجد انعكاسات هاتين النظريتين في مقالات نشرت في المجلتين الامريكيتين Language و Word .

إلى جانب هذه الآلية المسماة أيضا مادية، هناك شكل آخر في المادية أثر في اللسانيات : **المادية التاريخية**، ذات التأثير الماركسي، والتي ترى أن اللغات تعتبر أساسا وقائع اجتماعية، كما أنها ترى في تطور الوقائع الاجتماعية وفي وقائع اللسان خاصة تطبيقا لمبادئ المادية الجدلية.

وأخيرا أثر تطور المنطق بقوة في النظريات الحديثة للسانيات. لقد تم توجيه الدراسات المتعلقة بالمنطق وجهة جديدة بواسطة Logische Untersuchungen بحوث منطقية لهوسرل، التي ظهر مجلدها الأول سنة 1900؛ فهوسرل انطلاقا من دفاعه عن كون الحقيقة المنطقية شكلية وليست مادية، يضع المنطق في نفس المسار الذي سارت فيه اللسانيات البنيوية التي تبحث عن تفسير لكيفية عمل اللغات باعتبارها نظاما من العلاقات. إن هذا التوجه للسانيات الذي أدى إلى قلوسيماتيك د. جلمسلاف، يميل إلى كونه جزءا مهما من المنطق الذي موضوعه الأول هو نظرية الرياضيات باعتبارها نظاما من الأدلة.

أعاد بعض اللغويين الفلاسفة طرح مشكلة العلاقات بين اللغة والفكر، وحاولوا تعريف منطق اللسان. ويمثل هذا الاتجاه فيقوبروندال خاصة الذي جمع دراسات مختلفة في كتاب Essais de linguistique générale تم إكماله ونشره بعد وفاته (كوبنهاق، 1943).

إن الأفكار الأكثر تعبيرا عن تطور اللسانيات بعد الحرب العالمية الثانية هي تلك المتمثلة في الحركة التي نعرفها تحت اسم النحو **التوليدي** الذي يهيمن عليه اسم نوام شومسكي. لقد عرض شومسكي، وهو من أتباع هاريس، سنة 1957 نظرية تتعلق بالبنى التركيبية التي، انطلاقا من نقد التوزيعة، وصلت فيما بعد إلى نظرية جامعة للسان حازت على شهرة لا نظير لها في العالم. يتعلق الأمر بالمرور من مفهوم للعلم مبني أساسا على الملاحظة وتصنيف الوقائع

إلى مفهوم يعطي الأولوية للنماذج (أمثلـــة) النظريــة الــتي بواســطتها تفسر الوقائع، لقد بينا العلاقة بين هذه النظرة وتلك الــتي انطلــق منــها، قبل اللسانيات العلمية، <<النحو العام>> لبــور روايــال؛ ولكــن يتعلــق الأمر هذه المرة بنحو **توليدي**، يبرر الطــابع الإبداعــي للســان و**الملكــة** التي يمتلكها متكلم اللغة، الذي له المقدرة علـــى تشــغيل نظــام لغــوي (تركيبي، فونولوجي، دلالي) وذلك بتحقيقه في جمـــل تمثــل أداءه.

إن ما ميز اللسانيات المعاصرة هو على الخصــوص النظريــة التركيبيــة العامة التي حاول النحو التوليدي إنشـــاءها. إن الحركــة الشومســكية، بطرحها للعلاقات التركيبيــة الأساســية علــى أنهــا عامــة وبإبرازهــا للمعطى اللغوي السطحي اعتمادا على عمليات تحويليـــة (ومنــه اتحــاد الكلمتين في **النحو التوليدي والتحويلـــي**) ســـارت في اتجـــاه منـــاقض لنزعة من البنوية التقليدية، ركزت على خصوصية بـــنى كـــل لغـــة، إلى حد طرحها نظريا أن ما يتغير من لغة لأخرى هو وحـــده الـــذي يعتـــبر لغويا لسانيا. إن هذه الحركة التي غالبا ما تنغلـــق في نزاعـــات مدرســـية تتجه نحو الزوال اليوم. إننا نلاحظ بوضوح الحـــدود والهنـــات النظريـــة، ولكنها كانت سببا في إنتاج سمح بإبراز عدد مـــن الوقـــائع في اللغـــات الموصوفة، لم يطلها تحليل اللغويين القدامـــى.

هناك اتجاه آخر ميـــز عصرنا، ويتمثـــل في الاهتمـــام بالاتصـــال في جميع جوانبه (التي حاول اللسانيون مثال جاكبســـون مطابقـــة وظـــائف اللسان لها) ومحاولة إدمـــاج المفـــاهيم المـــأخوذة عـــن اللغـــة (أعمـــال ر.جاكبســـون، إ. نبفينيســـت، ج.ل. أوســـتين، ب.ف. ستراوســـن وغيرهم)، أهمية الافتراضات، الخ... (أعمال ديكـــرو خاصـــة) وبـــإدراج اللســـانيات في تداوليـــة بـــإبراز العـــلاقة داخـــل الخطـــاب، بـــين <<القول>> و <<الفعـــل>>.

ب) ـ المستويات المختلفة للسانيات

1 – اللسانيات التطورية واللسانيات السكونية

تميزت دراسة اللغات في القرن 19 بالوعي الواضح لتطورها وبازدهار اللسانيات التاريخية والمقارنة. ثم في إطار القطيعة مع التوجه المقتصر على الجانب التاريخي، اعترف بعض اللغويين وأكدوا على إمكانية إحالة عرض حالة لغة ما على دراسة مقتصرة على الجانب السكوني، غير مراعين التطور الذي نتجت عنه هذه الحالة. لقد طرح ف.دي سوسير بوضوح في بداية القرن 20 الفرق بين التطورية، دراسة التغيرات من خلال (اليونانية Dia) الزمن (اليونانية Khronos) وبين السكونية، دراسة حالات اللغة في ذاتها، على اعتبار أنها مجموعات متجانسة (اليونانية Sun <<مع>> فكرة المجموعة) في فترات معينة من التطور.

بهذا توزعت اللسانيات على فرعين : **اللسانيات التاريخية أو** التطورية **واللسانيات الوضعية أو السكونية.**

إضافة إلى هذا يمثل التمييز بين التطورية والسكونية اكتشاف طريقة فرضت فكرة مثمرة مفادها أنه يمكن دراسة كل حالة لغة على أنها نظام منسجم وتام. ولكن في الحقيقة كل لسان في تطور في كل فترة من تاريخه؛ يشتمل نظامه الوصفي على مجموعة من السمات الموروثة من الحالات السابقة وهو بداية لتطورات جديدة.

إن توازن نظام هو عارض دوما. وبهذا تتقاطع وجهتا النظر الآنية والتطورية، فهذه يوضح تلك (ينظر في ص 121 – 123).

2 – من اللغات إلى اللسان

إن التمييز بين الآنية والتطورية ينطبق أساسا في ذهن ف. دي سوسير، على الدراسات اللغوية الملموسة : الحالات المعينة للغة، تطور اللغات المعينة، ولكنه استخرج هو نفسه المبادئ المشتركة لكيفية عمل كل حالة لغة. ولذا كانت هناك **لسانيات عامة. معناها** أننا نستطيع بلورة مبادئ ذات بعد عام حول كيفية عمل اللغات وحول تطورها. وبهذا حددت وجهة النظر البانكرونية (Panchronique)(Pan من الصفة اليونانية التي تدل على <<كل>>) أو achronique بالمقابل وجهة النظر الإيديولوجية (idiochronique) (من اليونانية idios <<خاص>>) التي هي الدراسة الثابتة أو التطورية للغات الخاصة.

ففي مستوى أول للسانيات الثابتة مهمة وصفية : فمن كل الدراسات الخاصة، التي تمت حول اللغات المختلفة، تنتج معطيات ذات طابع عام حول أنواع الأنظمة الموجودة في اللغات وحول مختلف الأبعاد التي تعطيها تحولات الأنظمة اللغوية.

وفي مستوى أعلى، يمكن أن نسميه مستوى اللسان، تبحث اللسانيات الثابتة عن مفاهيم وتفسيرات عامة متعلقة بالظواهر اللغوية. وهذا هو البعد الجديد والحيوي للسانيات العامة المعاصرة التي أولاها دي سوسير (DE Saussure) مهمة <<البحث عن القوى الموجودة بصفة دائمة وعامة في كل اللغات، واستخراج القوانين العامة التي تعود إليها كل الظواهر الخاصة للتاريخ>>.

ج - الجانب الوصفي للسانيات العامة

التصنيف

يمكن انطلاقا من مجموعة الدراسات التاريخية التي تناولت مختلف اللغات، استخلاص نتائج وتصنيفات للظواهر الملاحظة. وبهذه الطريقة تمت دراسة أنواع التغيرات التي تحصل في الأنظمة الصوتية من طرف د. جونس (D. Jones). كما شكلت التغيرات التي تمس المفردات موضوعا لدراسات عامة ولتصنيفات في تطور علم الأدلة. وقد رأينا سابقا، فيما يتعلق باللسانيات التاريخية، كيف تم التمييز بين مختلف أنواع الدخيل في تاريخ اللغات. وفي كل تصنيف للوقائع، يجب أن تكون هذه التصنيفات مصحوبة بتقنيات للتواتر عن طريق إحصاء مختلف الأنواع الملاحظة.

وتستطيع اللسانيات العامة ويجب عليها أن تستخرج، من خلال المعطيات المجموعة من أوصاف حالات اللغة، قوائم واسعة للإجراءات اللسانية لكل جوانب اللغة : الصوتيات، النحو، المعجم وذلك بالبحث عن الروابط بين مختلف الوقائع المسجلة في مختلف الجوانب.

لقد أعطت تحريات عامة ومقارنات من هذا النوع معلومات استفادت منها اللسانيات للبحث عن تفسيرات عامة. وتتأسس نظريات ت. تروبتسكوي (N. Troubetzkoy) على مقارنة عدد معتبر من الأنظمة الملاحظة في مختلف لغات العالم.

وقد دفعت ملاحظة مختلف الأصناف اللغوية، منذ القرن الماضي إلى محاولات وضع **تصنيف** للغات لا يزال إلى الآن يبحث عن طرائقه

التصنيف

مثلما أدت الدراسة التاريخية إلى تصنيف تاريخي أو سلالي للغات، كذلك أدت الأنماط اللسانية إلى ترتيب تصنيفي للغات، وقد تم القيام بالتصنيفين بشكل متواز في القرن 19.

كان النحو العام قد وضع مبادئ للتصنيف غير تاريخية. غير أنها لم تتواصل إلا إلى تصنيفات مسبقة. ويجسد ذلك مقال في **الموسوعة** (1765) تحت عنوان **لغات** (langues) : فبناء على العلاقة التي تظهر

بين <<مسار الخطاب<< >>التتابع الطبيعي للأفكار>> التي تكون إما موازية وإما مستقلة. تصنف اللغات كلغات <<متشابهة >> (الفرنسية، الإسبانية مثلا) أو <<تبادلية >> (الإغريقية، اللاتينية الألمانية مثلا).

وقد اقترحت خلال القرن 19 تصنيفات مؤسسة على قواعد بسيكولوجية. وترتبط إلى حد ما بفكر و.فون همبولدت (.W. Von Humboldt) الذي حاول أن يعطي تفسيرا بسيكولوجيا لتنوع البنيات اللغوية. وتناول المشكلة مرة أخرى وبصفة خاصة بوت (Pott) وستينتال (Steinthal)(لغات بدون <<شكل>> ولغات ب <<شكل >>.

غير أن هؤلاء اللسانيين يدرجون في الوقت نفسه خصائص بسيكولوجية وخصائص صرفية، لأن التصنيف إن كان أخذ وجهة جديدة خلال القرن 19 فلأنه تأسس على طبيعة الإجراءات الصرفية المستعملة من طرف اللغات.

لقد أخذ هذا التصنيف، بعد أن فتح له المجال فر.فون شليجل ودققه أخوه أ. و. شليجل، وأخذه بأشكال مختلفة مقارنون من أمثال بوب (Bopp)، شكله الكلاسيكي في **المقدمة** لـ :
comendium der vergleichenden grammatik der indogermanischen sprachen لـ أ. شليشر (A. Schleicher) 1861، ويتمثل هذا التصنيف، مرتبطا بالمفاهيم الهيجلية لشليشر، في تقسيم ثلاثي : لغات عازلة (كلمة أحادية المقطع، صرف جد محدود دور كبير لترتيب الكلمات)، لغات مزجية أو (مدمجة) ولغات تصريفية (ينظر في ص 48-53). وقد عمم هذا التصنيف أيضا،

خلال النصف الثاني مـــن القـــرن 19، بعـــض الكتـــب الـــتي عممـــت اللسانيات مثل قراءات (lectures) لـــــ مـــاكس ميلـــر (Max Muller) و**اللســـانيات** (la linguistique) لـــ أ. هـــافيلاك (A. Havelacque). ويوجد هذا التصنيف حتى في كتب حديثـــة مثـــل كتـــاب أ. قريقـــوار (A. Gregoire) (**اللسانيات** بـــاريس، 1939، طبعـــة 6، 1948).

لقد كان الإحساس مبكرا بأن تعقيـــد البنيـــات اللغويـــة لا يســـمح بتصنيف سهل مثل هذا، فقد حدد فر. ميســـتللي (Fr. Mistelli)، بعـــد إعادة تأســـيس مؤلـــف ســـتينتل Charkteristik der huptsächilchsten Typen des Sprachbaues عـــام 1893، ســـتة أنـــواع صرفيـــة متمـــيزة، وقسم اللغات إلى أربعة أقسام. وحـــــدد ف. ن. فينـــك (F. N. Finck) فـــي بـــداية القـــرن 20 ثمـــانية أنـــواع مختـــــلفة فـــي مؤلـــــفه Die haupt Typen des Sprachbaus (1909). وقـــد أدى بـــه اهتمامـــه بإيجاد الأسباب البسيكولوجية للاختلافات اللغويـــة إلى وضـــع تصنيـــف عام 1901 تحت عنوان Die klassifikation der sprachen يحـــدد علاقـــة بين الأنواع الصرفية وبعض السمات الطباعيـــة.

ورغم استعمال طرق جديدة، خاصة مـــن طـــرف أ. ن. تيكـــر (A. N. Tucker) (Introduction to the natural history of language). لنـــدن 1908. و إ. ســـابير (E. Sapir) الـــذي اقـــــترح في مؤلفه language تصنيفا بأربعة أنواع مفاهيميـــــة لكيفيـــة التعبـــير عـــن المفاهيم في الرموز اللغوية، إلا أن التصنيـــــف بقـــي لفـــترة طويلـــة دون أهمية. لقد كتب أ. مايبه (A. Meillet) في مقدمـــة الطبعـــة الأولى لـــــ : langues du monde : <<التصنيف اللغـــوي الوحيـــد الـــذي لـــه قيمـــة وضرورة هو التصنيف النسبي المؤسس على تـــاريخ اللغـــات >>.

ويتم اليوم القيام بمحـــاولات لتأسـيس تصنيــف مبــني علــى مــا توصلت إليه النظرية اللسانية. وبلـــورة تصنيــف يرتبــط بقــوة بتطــور البحوث حول الكليات التي تعرف اليوم توســعا كبــيرا.

د ـ الجانب النظري للسانيات العامة.

بنية وتطور اللغــة

ترتبط الخصائص العامة للغة أساسا بعـــاملين كبــيرين : فكــل لغــة هي نظام من الأدلة، وكـــل لغــة تتحقـــق في إطـــار اجتمـــاعي يحـــدد وظيفتها وتطورهـــا.

1 – اللغة نظام من الأدلـــة

أ – الدليل اللغــوي :

لقد درست طبيعة الدليل اللغـــوي بصفـــة دقيقـــة مـــن طـــرف دي سوسير ونوقشت بتوسع بعــــده.

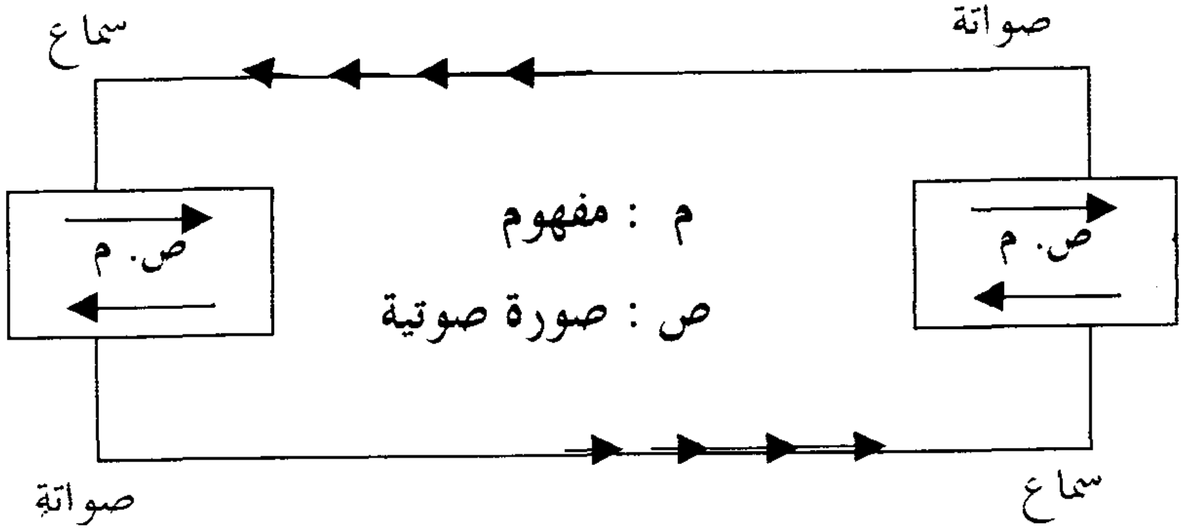
فالدليل اللغوي هو <<نتاج ارتباط دال ومدلـــول>> والـــدال عمومـــا هو الصورة الصوتية والمدلول هو المفهوم. ويمثل البيـــان اللاحـــق العلاقـــة التي تتم بين فاعلين كما رسمها دي سوســـير.

إن طبيعة الصورة الصوتية والمفهوم ذهنية. فعلى المستوى الصوتي يثير مفهوم boeuf في الذهن الصورة الصوتية المطابقة، التي هي أثر مجموعة الأصوات المشكلة لكلمة boeuf في الفرنسية (osc في الإنجليزية، الخ...) ثم ينقل الدماغ بواسطة إجراء فيزيولوجي لأعضاء الصواتة الدفع الملائم لصورة. وفي مجال الاستقبال ينقلب الترتيب : فهناك نقل فيزيولوجي من الأذن إلى الدماغ، والدماغ ربط ذهني للصورة الصوتية (osc, boeuf، الخ) مع المفهوم المناسب.

والخاصية الأساسية للدليل، حسب ف. دي سوسير هي "كونه **اعتباطيا**. وقد أثارت هذه الفكرة من النقاشات (ينظر خاصة الدورية acta linguistica) التي تعود دون شك إلى غموض العبارات والصيغ المستعملة وليس إلى اختلافات حقيقية في وجهات النظر بين اللسانيين.

إن الدليل اللغوي هو في الوقت ذاته اعتباطي وضروري : والعلاقة التي تربط الدال والمدلول هي علاقة ضرورية : ففي وعي المتكلم الفرنسي يثير الدال boeuf (أي الصورة الصوتية لمجموعة أصوات böf) بالضرورة الصورة الصوتية böf.

<<فالدال هو الترجمة الصوتية للمفهوم، والمدلول هو المقابل الذهني للدال >> (إ. بن فينيست).



غير أنه لا وجود لعلاقة ضرورية بين boeuf كوجود في الواقع وبين الدليل الذي يعبر عنه في الفرنسية أو في الإنجليزية، الخ، وتعدد هذه الأدلة بتعدد اللغات هو نفسه البينة؛ ولهذا نتكلم عن الطبيعة **العرضية** (من منظور فلسفي) و**الاصطلاحية** اجتماعيا أو **الاعتباطية** للدليل. وقد استعمل دي سوسير المفردة الأكثر وضوحا وهي لا **سببي** أي دون <<رابط طبيعي >> في الواقع.

لقد أشير إلى الخاصية الاعتباطية للدليل في مقال <<Elymologie>> من الموسوعة <<ليس هناك علاقة ضرورية (سببية) بين الكلمات وبين ما تعبر عنه >>.

وقد كتب لايبنز (Leibniz) عام 1703 في مؤلفه " nouveaux essais sur l'entendement humain " (المنشور عام 1763) : <<لا توجد أية علاقة طبيعية بين بعض الأصوات المنطوقة وبعض الأفكار (إذ لو كان الأمر كذلك لما وجدت إلا لغة واحدة بين الناس) ولكن يتعلق الأمر بنظام اعتباطي، أصبحت بموجبه كلمة ما دليل على فكرة ما بصفة إرادية.

غير أنه تظهر أحيانا علاقة <<طبيعية>> واضحة نسبيا. وخير مثال على ذلك المصاديات والكلمات المحاكية (ينظر في ص 73) كما يمكن أحيانا إيجاد علاقة بين بعض الآليات النفسية وبعض العبارات اللغوية. من ذلك أن النفي يعبر عنه في عدد كبير من اللغات بواسطة عناصر (في أغلب الأحيان أحادية المقطع) ذات نطق أغن (خيشومي) الهندو - أوروبية، السامية، المصرية، الألتيكية، الفلندية، المجرية، السومرية، المالية، الخ...) ومن الممكن افتراض وجود علاقة بين هذا النطق وبين التعبير عن الرفض.

مثل هذه الحالات هي التي تحدد تشابهات بين لغات ليس بينها قرابة : هذه التشابهات تعود إلى ما يسميه هـ. شوشاردت (H. Schuchardt) **القرابة الأولية**. غير أن هذا المفهوم لا يغطي إلا وقائع محددة عددا ويصعب تقسيمها بدقة.

ب - الوظائف/ التقابلات، الأنظمة

تؤدي الأدلة اللغوية وظائف تتمثل مثلما رأيناه (الفصل الثاني) في التعبير عن المفاهيم (مفاهيم الأشياء أو الكائنات أو الأحداث أو الأبواب النحوية) بواسطة مورفيمات (وحدات معجمية أو دلالية وعلامات نحوية أو مورفيمات بالمفهوم الضيق). يترجم هذا الربط بين المضمون والعبارة الطبيعة المزدوجة للدليل الذي هو في الوقت نفسه **مدلول ودال**. وتتحقق هذه الوظائف في كل لغة بطريقة خاصة، إن على مستوى المضمون وإن على مستوى العبارة، ومن

جهة أخرى فقد أظهر. العرض الذي قدمناه حول اللسانيات الوصفية أهمية مفهومي **التمييز** و **المقابلة**.

تتحدد مصوتات أي لغة بوظيفتها التمييزية. وتتحدد الأبواب النحوية كذلك عن طريق التقابل. فالمنصوب في اللاتينية يتحدد بمقابلته بالمرفوع (مقابلة ذات وجهين) غير أنه يتقابل في الإغريقية في الوقت نفسه مع الإخبار ومع التمني، (مقابلة ذات ثلاثة أوجه)، وفي الفرنسية لا يتقابل le subjonctif مع l`indicatif مثلما هو الحال في اللاتينية بسبب وجود <<الشرط >> الذي يؤدي جزئيا بعض وظائف le subjonctif اللاتيني. فلا يوجد إذن وظيفة subjonctif صالحة بصفة عامة. فهذه الوظيفة لا معنى لها إلا في إطار إجراءات تقابلية محددة.

ويمكن أن يقال نفس الشيء بالنسبة للمعجم. فانتشار دلالة مفردة ما لا يرتبط بمفاهيم قبلية موجود عامة في العقل البشري، وإنما تتحدد بالنسبة لكل كلمة في كل لغة عن طريق الحقل الدلالي للمفردات الأخرى لهذه اللغة. فالتمثيل الذي يرتبط بالكلمة الفرنسية "Temps " ليس هو نفسه الذي يرتبط بالكلمة الإنجليزية " Time" (الزمن الذي يمر) و Tense (الزمن النحوي) و Weather (الحالة الجوية) في الإنجليزية. غير أن Time يغطي في الوقت نفسه Temps و Heure (مدة من الزمن ?what time is it : كم الساعة؟) الخ...
يشكل مجموع هذه المقابلات في كل لغة نظاما أو بالأحرى نظام الأنظمة : نظام الأصوات، النظام النحوي، النظام المعجمي. <<في حالة لغة معينة، كل شيء منتظم؛ فأي لغة تتكون من مجموعات يرتبط فيها الكل : نظام الأصوات (أو المصوتات) نظام الأشكال

والكلمات (الوحدات الصرفية والدلالية) . ومــــن قـــال نظامـــا قـــال مجموعة منسجمة. وإذا كان الكل مترابطا فـــهذا معنـــاه أنـــه يجـــب أن تكون كل مفردة تابعة لأخـــرى >> (ف. برونـــدال).

كل نظام يرتكز على مبدأ الاختيار بـــين إمكانيـــات مـــن التحقيـــق غير محدودة، وعنـــاصر هـــذا الاختيـــار تتحكـــم في بعضـــها : ففـــي الفونولوجيا مثلا، نلاحظ أن الصينية، الـــتي تملـــك كلمـــات قصـــيرة، وبنية مقطعية بسيطة جدا ونـــبرات صوتيـــة قليلـــة التنـــوع تعطـــي في المقابل دورا تمييزيا هاما للنغمـــات.

ومن جهة أخرى وبنفس الوظائف، تظهر وســائل التعبـــير المســـتعملة في لغة معينة بعض الانتظام وتناظرات تبرز تمثيـــلا بيانيـــا في جـــداول أو أشكال هندسية، مستعملة بصفة متزايدة عنـــد اللســـانيين.

ففي الفونولوجيا، تقدم جداول المصوتـــات تنـــاظرات مميـــزة، وذلـــك دون إلغاء بعض عوامل عدم التـــوازن.

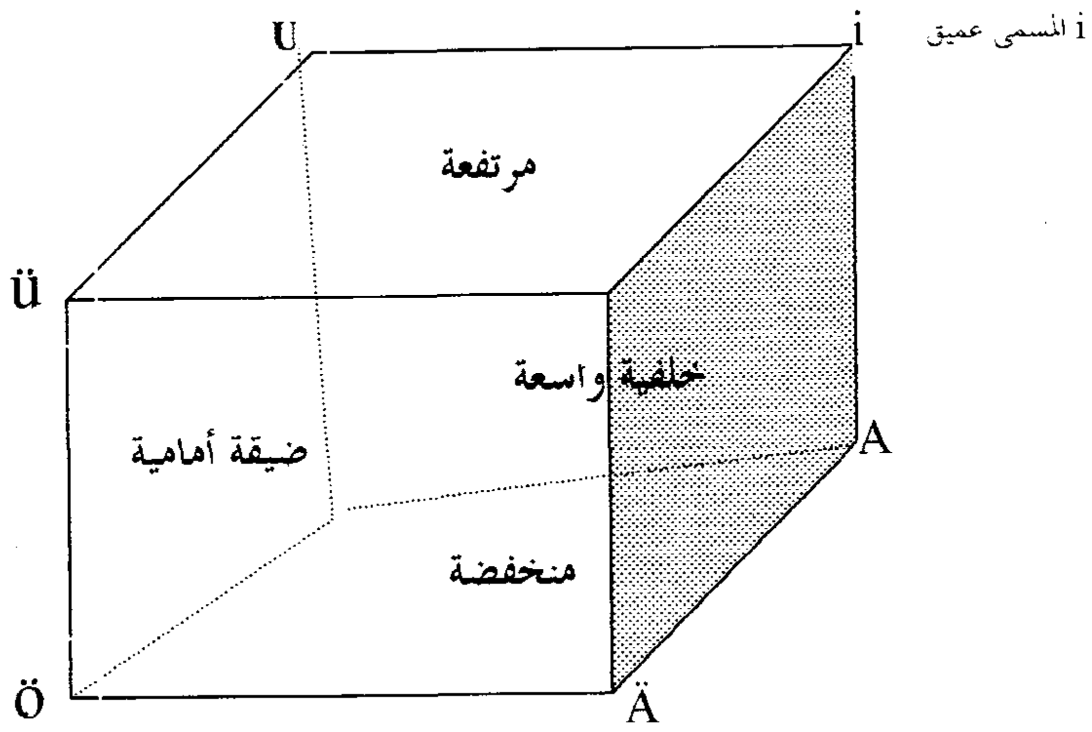
	فمـــــويـــــة				
	شـديدة		رخـوة		خيشـــومية (مجـهورة)
	مهموسـة	مجـهورة	مهموسـة	مجـهورة	
المنطقة الشـفوية					
الشفـــوية	P	b			M
الشفوية الأسـنانية			f	v	
المنطقة الأسـنانية	t	d	s	v	N
المنطقة الحنكيـة					
قبل الحنكيـة			Š(ch)	Ž(j)	n¨(gn)
وسط - حنكيـة	k	g			

مثل : تنتظم مجموعة الصوامت الفرنسية في نظام ذي ثلاثة مخارج (مع بعض الانحرافات) مع استثناء المائعة (l,r) وأنصاف الحركات (y, w,ẅ) نمثله بالشكل التالي (أنظر الجدول السابق).

وهناك مثال آخر : مكعب الصوائت التركية لـ فرانسوا ديني (François Deny) (ينظر البيان اللاحق).

وكذلك الحال بالنسبة للصرف، حيث يظهر انتظام متميز بوجود نوع من الإجراءات الصرفية في كل لغة : وعلى هذا الأساس استطعنا أن نصنف اللغات إلى لغات تصريفية ولغات مزجية، الخ... (ينظر في ص 112-113).

هناك بحوث دقيقة موضوعها تحديد شروط عمل المقابلات ومعرفة المفردات الموسومة وغير الموسومة والحيادية من المقابلات التي تتحقق في أنظمة مختلف اللغات. لقد تم تحقيق خطوة هامة منذ نهاية القرن 19 وذلك بتحديد قيمة << الدرجة صفر>> في الأنظمة : فغياب كل علامة يحمل دلالة، لأنه يميز أحد عناصر المقابلة وهو العنصر غير الموسوم. وقد درست وظيفة المقابلات بصفة معمقة من طرف الفونولوجيين.



وقد توصلت البحوث الفونولوجية التي قامت بها مجموعة براغ بدافع من لسانيين أمثال ن. تروبتسكوي و ر. جاكبسون إلى نتائج معتبرة توجت بنشر أعمال **الحلقة اللغوية لبراغ** (8 أجزاء من 1929 إلى 1939) وخاصة **مبادئ الفونولوجيا** لـ ن. تروبتسكي. وفي المقابل لم تعرف الدراسات في المجال الصرفي والمعجمي نفس العمق [1] ويبدو أن المقابلات تتميز بطابع خاص أقل صرامة في المجال المعجمي حيث لا يوفر نظامه إمكانية للتحليل المنتظم.

إن الاكتشافات المحققة على المستوى الآني لحالات اللغة طبقت على المجال الزمني. ومن الواضح أنه لو كانت كل حالة تتجلى كنظام لكان تطور لغة ما كامنا في المرور إلى أنظمة متتابعة. وعلى هذا الأساس لا يفهم أي تغير خاص إذا لم يوضح في النظام الذي يوجد فيه. فيجب إذن قطع الصلة مع منهج النحاة الجدد الذين يتتبعون بصفة معزولة تاريخ كل صوت دون الأخذ بعين الاعتبار علاقته بالمصوتات الأخرى في الأنظمة التي تتحقق بالتتابع في تطور اللغة المعنية.

لم يكن أبدا توازن الأنظمة مثاليا، فتمثيلها البياني يبرر خانات فارغة تمثل نقاط الضعف، وتحبذ التحويل. وحين تفسير التغيرات يجب الأخذ بعين الاعتبار المردودية الكبيرة نسبيا للمقابلات : فإذا كانت المقابلة بين in و un (brin / brun) تتجه نسبيا نحو الزوال في

1) – ينظر مع ذلك في ص 54-61

الفرنسية فلأن مردودها ضئيل : فهي تحقق مقابلة في عدد قليل من الكلمات. وتبين دراسة لـ أ. و. دوقروت (A. W. DE Groot) في خاتمتها العبارة التالية ذات الأثر المهم : <<إن انتظام القوانين الصوتية ليس نتيجة القوانين الزمنية وإنما هو نتيجة قوانين آنية>>.

والضرورة نفسها في المجال الصرفي، إذ يكون تفسير تطور حالة خاصة في إطار النظام ككل. بهذا نحدد بسهولة الروابط بين حالات خاصة أثناء المرور من النظام النحوي للاتينية إلى النظام النحوي للفرنسية الحديثة. والجدول التالي يبين كيف يتجلى تاريخيا الانتقال من التصريف بمورفيمات لاحقة (علامات إعرابية) إلى التصريف بمورفيمات سابقة (الضمير – الفاعل) بالنسبة للحاضر الإخباري.

ولا يمكن أن يفهم هذا التطور إلا إذا أدرجنا معا التوجه الصوتي في إسقاط الأواخر (والتي تحمل في اللاتينية علامات الأشخاص) واستعمال، لأسباب هي في الأصل نغمية، للضمير الملحق ببداية الفعل، واستعمال الضمائر المنفصلة (استبدال je تدريجيا بـ moi).

ويبين هذا المثال ضرورة الأخذ بعين الاعتبار التبعية المتبادلة لهذه الأنظمة : العلاقة بين التطور الصوتي والتطور النحوي (التي تتجلى في حالة القياس (ينظر في ص 81).

	التواريخ	أ	ب	ج
1	1200	تصريف بلواحق	ضمير متصل غالب (لغات نغمية) ↓ وبعد ذلك ضعف تدريجي لـ Jo ↙	ضمير الشخص الأول مفرد Jo ↓
2	1280			Jo (وكذلك moi في الكلام العادي)
3	1380	تم الإلغاء النهائي للعلامات اللاحقة		Je أو Moi ↓
4	1480	ضمير الفاعل ◄ (كثير من الأخطاء	دائما ضروري الإملائية لعدم التيقن) *	Je أو Moi ↓
5	1540	تصريف بسوابق		Moi

أو بين التطور الصوتي والتطور المعجمي، لأن المعجم نفسه يتطور كنظام كامل، وحينما تكون بعض عناصر النظام مهددة عن طريق التطور الصوتي تتدخل <<المعالجة اللغوية>> حسب عبارة ج. جيرون (J. Gillièron) لتعيد التوازن. ذلك هو الحال في الغاسقونية حيث يوحد التطور الصوتي اسم القط (اللاتينية cattus) واسم الديك (gallus) في صيغة واحدة gat، غير أننا نلاحظ أن هذه

اللهجة احتفظت بدلالة لتميز الديك عن طريق كلمة طريفة هي bigey ودلالتها هي <<كاهن>> (يقارن الديك في هذه الحالة بحارس الناسكات) أو <<قائد>>.

ج - مفهوم البنية

إن مفهوم اللغة كنظام يؤدي إلى التأكيد الذي مفاده <<لا يوجد في اللغة إلا الاختلافات>> وإلى أن <<اللغة شكل وليست مادة>> (ف. دي سوسير). ويمثل الفونيم هذا التمييز جيدا : فهو يتحدد بصفات مميزة (الجهر، الغنة، الخ...) وهذه الصفات هي الوحيدة الضرورية للأصوات، والباقي ما هو إلا مادة خارج - لغوية - دون مردود في النظام، فهو مجرد سند مادي. وهكذا يتقلص نظام التقابلات للدوال في كل لغة إلى عدد قليل من العناصر. ويسعى كل التحليل اللساني إلى الارتكاز على نظرات متشابهة تؤدي إلى اعتبار المضمون (مستوى المدلولات) والعبارة (مستوى الدوال) أشكالا. وتتحقق الوظائف التي تؤديها عناصر لغة ما في أنظمة، تدرس في بنيتها. ومن هذا المنطلق أدت **الوظيفية** إلى **البنيوية**. فالبنيات يمكن أن تدرس في ذاتها. وتعتبر اللغة إذن نظاما مجردا ذا علاقات نظرية. لقد أسس ل. جالمسلاف (L. Hjelmslev) نظرية بنيوية مبنية في بادئ الأمر، فيما يبدو، على أسس مستقلة عن المذهب السوسيري. إن هذه النظرية التي ترى أن <<الشكل اللغوي>>، <<المستقل عن المادة التي يتجلى فيها>>،<<لا يمكن معرفته وتحديده إلا إذا نظرنا إليه من زاوية الوظيفة>>، يعطي للفظة - وظيفة - معنى جديد قريب من معناه الرياضي. فالوظيفة هي العلاقة بيمن مفردتين تسميان حدا الوظيفة (fonctifs) إن المذهب

الذي تشكل حول ل. جالمسلاف (L. Hjelmslev) والذي عرف باسم **القلوسيماتيك** أخذ شكلا غاية في التجريد، واستعمل مصطلحات خاصة صعبت من فهمه. غير أن الحركة البنيوية كانت تظهر تحت أشكال مختلفة والأعمال التي تم القيام بها لم تسلم هي أيضا من التجريد والغموض.

د - المستويات المختلفة للغة

كيف تترتب الأنظمة المكونة لنظام لغة ما؟ يضع التقسيم الأكثر تداولا في هذا المجال أربعة مستويات : **الفونولوجيا**، **الصرف**، **التراكيب**، **المعجم**.

يبدو أن عزل الفونولوجيا هو الأكثر سهولة، فهي لا تستدعي الدلالات مباشرة ولا تعتني بالوحدات أو الفونيمات التي تتشكل منها الوحدات الدالة.

غير أن الحدود بين الصرف والمعجم، وبين الصرف والنحو خاصة، جد متغيرة. وقد نوقشت بإسهاب مشكلة العلاقات بين الصرف والتراكيب في المؤتمر العالمي السادس للسانيين في باريس عام 1948 دون أن يتوصل هذا النقاش إلى حل.

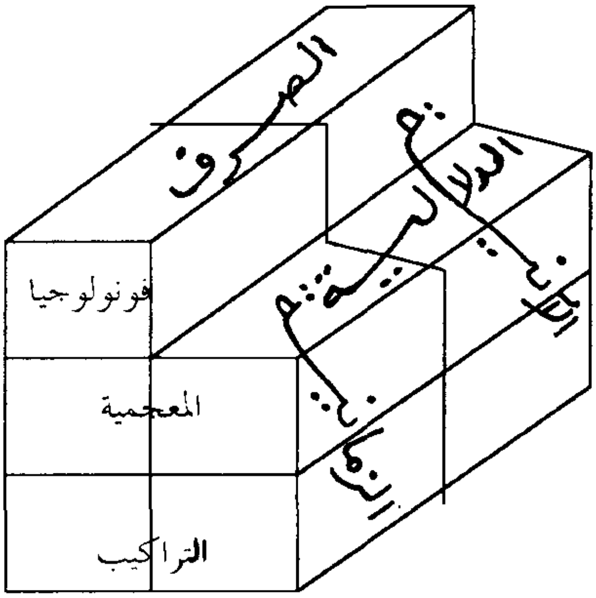
وفي الحقيقة، إذا كان الصرف هو دراسة العلاقات، فيكون هناك حينئذ صرف للمعجم وصرف للتراكيب. وإذا استثنينا الفونولوجيا فلا يبقى هنا إلا قسمان : المعجم والتراكيب. غير أن التقابل بينهما

حد واضح : فأحدهما يدرس الدلالات أو إن شئنا التسميات بينما يدرس الآخر الأقوال المشكلة والعلاقات التي تظهر من خلال التشكيل، ذلك أن استعمال اللغة كوسيلة اتصال يقتضي ربط وظيفتين : فهناك توصيل أقوال (اثباتات، استفهامات، أوامر، الخ...) متعلقة بمفاهيم (وجود أشياء و <<أحداث>> أي كل ما نعبر عنه في الفرنسية بواسطة الأفعال : حدث، حال، مستقبل. فتعيين المفاهيم هو مجال المعجم، وبناء الأقوال هو مجال التراكيب. وتجدر الإشارة هنا إلى البعد المزدوج للتراكيب : فهي دراسة العلاقات داخل القول ودراسة أنواع الأقوال (ينظر في ص 53-54).

فالمعجم والتراكيب كلاهما له وجها الدليل : دال يفتح المجال لدراسة صرفية (تشكيل الكلمات، الذي مكانه الحقيقي في المعجم، دراسة علامات العلاقات والتنغيم في التراكيب) ومدلول يفتح المجال لدراسة يمكن تسميتها بالدلالية.

وفي الأخير يضيف تمييز الآنية والزمانية بعدا جديدا، وبذلك يمكن تمثيل الدراسات اللسانية بالرسم التالي المقترح من طرف ست. أولمان (St. Ulmann).

ويحسن فصل الفونولوجيا، واعتبار أن الوقائع الصوتية تشكل تنظيما خاصا مع مزاوجة للدراسات تذكر بالمزاوجة صرف - دلالة ولكنها خاصة : صوتيات وفونولوجيا (ينظر في ص 31) والتقسيم معجم - تراكيب يطرح هو ذاته مشاكل.



2 – اللغة والمجتمع

تمثل اللغة نوعا معينا من المؤسسة الاجتماعية. فاللغة كنظام من الأدلة الاعتباطية لا تكون إلا باستعمال واتفاق جماعة. وكمؤسسة اجتماعية تعرف تطورا مشروطا بالمجموعة التي تتكلمها.

فنمو وتراجع لغة ما لا معنى لهما إلا بالنظر إلى استعمال هذه اللغة من طرف الناس. واللغة تموت إذا لم يستعملها أحد. وبهذا المعنى ماتت اللاتينية لعدم وجودها كلغة مستعملة (حية) بصفة عادية من طرف مجموعة من الناس، ولكنها تاريخيا لم تمت : فقد عرفت تحولات عميقة بحيث أصبحت أشكالها الحديثة الحية اليوم : الفرنسية، الإيطالية مثلا تشعرانا بأنهما لغتان مختلفتان، ولكنها لم تتوقف عن الاستعمال. وعلى العكس من ذلك، فهناك لغات لم تعد مستعملة : فقد عوضت اللاتينية باللغة الغالية التي انطفأت تدريجيا. وكذلك الكورنية التي هي لغة سلتية للجزر البريطانية، أصبحت غير

مستعملة في القرن 18 واستبدلت بالإنجليزية. وتتطلب ظواهر التنافس وظروف استبدال لغة بلغة أخرى دراسة متأنية. فتوسع الأمبراطورية الرومانية هو الذي أرسى اللاتينية في ميدان اللغة الغالية كما في ميادين أخرى. إن التجزئة اللغوية أو العكس توحد مجموعة من اللهجات، هو نتيجة أحداث تؤثر في المجموعات الاجتماعية.
ويشكل تاريخ اللغة الإغريقية نموذجا وذلك للتتابع مراحل الانقسام والتوحد على المستوى اللغوي وعلى المستوى السياسي معا. وكان للحركات القومية في أوروبا في القرن 19 أثر في تطور اللغات التي رفعت إلى مستوى لغات وطنية (المجرية، الخ...).

وتعود التفاعلات بين اللغات إلى الاحتكاكات بين المجموعات الاجتماعية. وقد حاول بعض اللسانيين وخاصة و. شميدت (W. Schmidt) إبراز علاقات بين توسع خصائص بنية اللغات وبين الفضاءات الحضارية. وقد سبق القول أن الاستعارات تبدو أكثر في المفردات : فالتفاعل بين لغات مجموعات اجتماعية محتكة مع بعضها، لا تمس إلا نادرا بنية اللغات. غير أنه تبين، على ضوء الدراسات الحديثة وجزئيا تحت تأثير التطور الذي تعرفه الجغرافيا اللغوية ونظرية التموجات، أهمية ظواهر الاحتكاكات بشكل أكبر. فالتأثير بين الأنظمة افترض في الحالات التي تكون فيها اللغات متقاربة جغرافيا ويوجد بينها سمات مشتركة لا يمكن تفسيرها من منظور الاشتراك في مجموعة أصلية. ذلك هو حال الصوائت الأمامية المستديرة ü ö (في الفرنسية u , eu , e) إذ لها فضاء يغطي الفرنسية، واللغات الجرمانية (الألمانية، الفلندية، الهولندية والمجرية).

ويلاحظ حتى على المستوى النحوي وجود وقائع متشابهة : فمثلا : تعكس الإغريقية والبلغارية والرومانية والألبانية في الجزيرة البلقانية سمات مشتركة تميز كل لغة من هذه اللغات عن سائر لغات عائلتها : استعمال الفعل يريد vouloir للدلالة على المستقبل (نموذج الإغريقية thélo hina مع thélo (أريد) كما في الفرنسية الشعبية أو المحلية il ne veut pas pleuvoir (لا تريد أن تمطر) = il ne va pas pleuvoir (لا تمطر) بوجود أداة لاحقة في الرومانية والبلغارية والألبانية،الخ... وتتوفر لغات الشرق الأقصى على سمات مشتركة بينها : دور التنغيم، تمييز ضعيف بين الاسم والفعل، الخ... وهكذا كان الكلام عن **اتحادات** أو **توحد لغات** مما يبين أهمية مفهوم **التقارب** بجانب مفهوم **القرابة**.

ومن اللسانيين من لا يعطي للتبادلات اللغوية إلا أثرا محددا، مشيرا مثلا أنه رغم تعدد التأثيرات التاريخية الحاصلة، فإننا نستطيع تمييز لغة سلافية ولغة رومانية ولغة جرمانية. الخ... ومن جهة أخرى يجب دائما الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة التي تتم فيها الاحتكاكات بين اللغات. نستطيع استخراج علاقات عامة بين بعض الأنماط من تطور المجموعات الاجتماعية والآثار التي تحصل للغات هذه المجموعات، غير أن تطور كل لغة بعينها ينتج من الحركة المكونة من عوامل متعددة تميز هذا التطور. وقد بينت دراسة ل. ب. مالمبرغ (B. Malmberg) عن الاسبانية في العالم الجديد، أن التأثيرات التحتية والفوقية تابعة للظروف الخاصة بالتعايش بين اللغات، ويمكن أن تكون ضئيلة في بعض الحالات.

وهناك سعي لإيجاد علاقات أكثر قرابة بين اللغات والمجتمعات.

ف. أ. مايية (A. Meillet) حدد عام 1906 البرنامج التالي <<يجب تحديد لأي بنية اجتماعية تستجيب بنية لغوية محددة، وكيف تترجم، بصفة عامة، تغيرات بنية اجتماعية بتغيرات بنية لغوية>>.

كان الأمر يتعلق بتوجيه البحث نحو اكتشاف قوانين ترسي علاقات ضرورية بين نمطي البنيتين. و أ. مايية، نفسه حاول تقريب هذين النمطين : فالهندو - أوروبية، حيث يستعمل التصريف عددا كبيرا من المورفيمات يمثل كل واحد منها مجموعة من الخصائص، ويعطي للكلمة حرية كبيرة داخل الجملة، تعتبر لغة لها روح ذات توجه انفرادي، وهذه الخاصية هي في علاقة مع البنية الاجتماعية للأمة الهندو - أوروبية، التي هي جمع من المجموعات الصغير المتحررة.

وحسب ف. بروندال (V. Brondal) فإن <<كل شيء يدل على أن حروف الإضافة في آسيا القديمة وفي إفريقيا الشمالية وكذلك في أوروبا، هي أدوات منطقية لم تستعمل إلا في مستوى من الحضارة راق نسبيا>>. ويشير ما رسيل كوهين (Marcel Cohen) بصفة أكثر دقة أن <<استعمال كلمات - أدوات بصفة ثابتة يقترح تشابهها مع المكننة والتنميط في التقنيات (المرتبط بالظروف الاجتماعية).

وكثيرا ما أرجع وجود أقسام اسمية إلى <<عقلية بدائية>> غير أ ن بحوث ل. هومبرجر (L. Homburger) تدعو إلى إعادة مشكل الأقسام، الذي يبدو أن النظر إليه، على الأقل في لغات البانتو (bantoues) لم يتم بشكل جدي. وهناك بعض التوجهات تبدو ذات صبغة عامة ومرتبطة بالتطور الحضاري : مثال ذلك التوجه إلى إزالة المثنى، كعدد <<محسوس>> في اللغات التي يوجد فيها، لتبقى فقط مقابلة مفرد / جمع ذات صبغة أكثر تجريدا، وهو توجه يغلب الزمن على الحدث من خلال حاجات المجتمعات في التطور.

يمكن بالنسبة للبعض، أن نعتبر أن بنية اللغة هي في علاقة بالذهنية وبالمؤسسات والحضارة المادية للناس الذين يتكلمونها. غير أن البحث عن العلاقات من هذه الزاوية لم يحصل إلا على نتائج ضئيلة. ولكن <<اللسانيات الاجتماعية>> استفادت من إسهامات هامة، خاصة من طرف أ. سومرفلت (A. Somerfelt) الذي نشر عام 1938 كتابا خصصه لـ أرانتا استراليا (Aranta d'Australie) ويهدف إلى إيضاح <<علاقة بين النمط اللغوي للمجتمع الأرنتي وحضارة هذا المجتمع>>.

اللغة مؤسسة اجتماعية، ولكن من نوع خاص، ولها ظروف تطورها الخاصة بها. وتوقفها الخاص. وقسط العناصر الموروثة كبير في كل حالة لغة. والتغير التام لمجتمع يستعمل لغة ما لا يؤدي بالضرورة إلى تغيير في بنية هذه اللغة : فالمجتمع الروسي عرف تغيرا جذريا في القرن 20، غير أن اللغة الروسية حافظت على بنيتها القديمة. وقد توصل نقاش في الاتحاد السوفياتي إلا أنه لا يمكن اعتبار اللغة في كليتها كبنية كبرى محكومة تماما بالبنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية.

لا يمكن أن ننظر إلى كل وقائع اللغة على أنها متماسكة بنفس درجة الوقائع الاجتماعية. ويبين المعجم بصفة أوضح علاقة اللغة مع كل أبعاد الحضارة. وفي هذا المجال تمت حديثا عدة محاولات هامة لوضع طريقة استغلال تمكن من تأسيس علم معجم جديد منظور إليه على أنه اختصاص اجتماعي.

3 – القوانين في اللسانيات

لقد دخلت كلمة قانون منذ زمن في مجال اللسانيات، ولكنها استعملت في معان متعددة.

فقد تم تطبيق كلمة قانون على ظواهر خاصة لا تصلح إلا لحالة معينة أو لفترة معينة من تطور لغة ما. فالقانون يدل فقط على أن هناك مبدأ انتظام. وهكذا اعتبر كقانون نسبي بالنسبة لحالة من الإغريقية أن النبر لا يصعد إلى أكثر من سابق ما قبل الأخير واعتبر كقانون صوتي أيضا بالنسبة لمرحلة من تطور هذه اللغة أن s في البداية أصبح h.

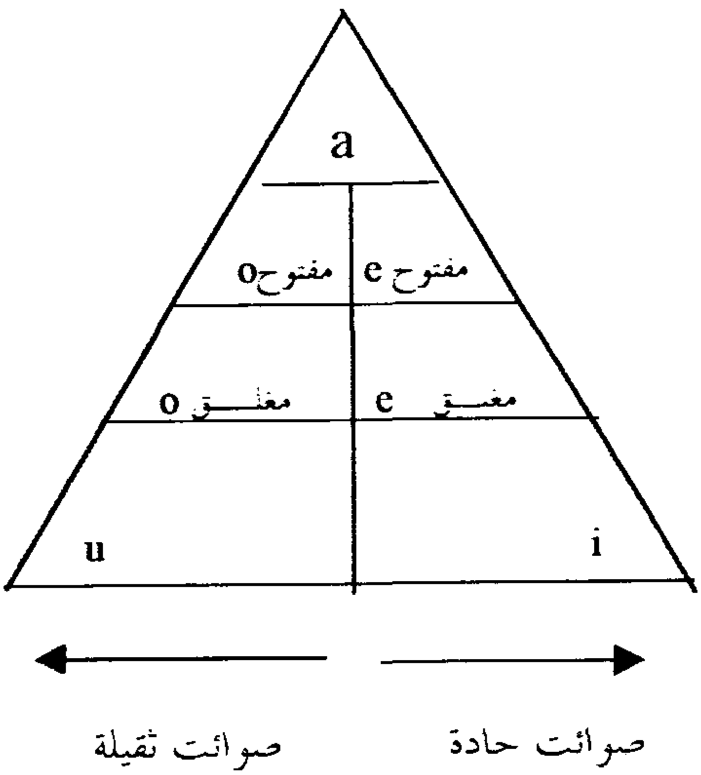
ونتكلم من جهة أخرى عن قوانين عامة للغة للدلالة على ظواهر عامة وعلى جوانب ثابتة في اللغة : فيوجد وسيوجد دائما تغيرات صوتية.

هل هناك مكان لقوانين لا تكون محدودة مثل الأولى ولا عامة كثيرا مثل الثانية، وتدل على حقائق عامة تتعلق بنقاط خاصة من الأنظمة اللسانية؟

لقد تحققت أول الكشوفات اللسانية ذات الطابع العام من طرف الصوتيات التطورية في أواخر القرن 19. فقد وضع م. قرامون (M. Gramont) في مؤلفه (التخالف) Dissimilation قوانين تطبق على جميع اللغات. غير أن الصوتيات العامة وضعت خاصة إمكانيات واتجاهات. وبذلك فالصوامت الموجودة في مواقع بين الصوائت تنحو نحو الضعف، ويمكن أن تزول تماما : فالكلمة الفرنسية Vie

(حياة) لا أثر فيها لـ t الموجود بين الصوائت في الشكل اللاتيني vita، الموجود بين صائتين. وذلك لأنه بين صائتين، وهما عنصران مفتوحان ومجهوران، ينحو صوت شديد ومهموس مثل t الموجود في vita نحو الجهر وفقد شدته بإسكان الأعضاء تحت تأثير **مبدأ الجهد الأقل**. غير أنه لا يوجد ما يسمح مسبقا بحدوث مثل هذه الظاهرة أو توقع تحقق هذا المنحى في أي ظرف : فالوقائع تظهر تعاملات جد متنوعة. فيمكن ألا نرى أي تغير في حالات يمكن أن يتحقق فيها المنحى. فلا يتعلق الأمر إذن إلا **باتجاه عام** وبإمكانية (من بين الإمكانيات)، و ما هو صالح بالنسبة للظروف السيكو - بيولوجية للغة، صالح أيضا كما رأينا ذلك، بالنسبة للشروط الأجتماعية.

ومع ذلك فقد توصلت البحوث في الصوتيات التطورية إلى بعض النتائج ذات الطابع العام، وتعكس سمة القوانين وليس الاتجاهات : فمن بين صامتين بين صوائت الأول منهما هو الذي يبدل.



وقد تمت محاولة البحث عن قوانين بالمفهوم المتعارف عليه في العلوم الدقيقة والطبيعية في كل جوانب اللغة، أي علاقات يمكن التحقق منها في أي مكان ودوما، أو بالمعنى الذي يعطيه أ. نافيل (A. Naville) <<صيغ تعبر عن علاقات من شروطها أن تكون ضرورية بين الوقائع>> (من نوع : إذا كانت زوايا المثلث متساوية فإن أضلاعه متساوية). ويمكن أن تنتج قوانين ضرورية من وضع كل لغة في نظام معقد، ومن ترابط العناصر المكونة لأنظمة المقابلات.

لقد حاولت الفونولوجيا إرساء قوانين بنية وتطور الأنظمة الفونولوجية، مثال ذلك هذا القانون المأخوذ من مبادئ الفونولوجيا Principes de phonologie لـ ن.س تروبتسكي (N.S. Troubetskoy) (ص 120 في الترجمة الفرنسية) : <<في كل نظام صائتي يحتوي قسم التحديد الأكثر ثقلا (الأقصى حنكي) وقسم التحديد الأكثر حدة (الأدنى - حنكي) على نفس عدد درجات الانفتاح. فمثلا تعرف الإيطالية ثلاث درجات من الانفتاح في كل سلسلة. فالصائت المتوسط a ذو الانفتاح الأقصى يوجد خارج أقسام التحديد.

هناك لسانيون أرادوا إيجاد قوانين متشابهة في مجال التقابلات النحوية. فـ فيجو بروندال (Viggo Brondal) وهو يطرح <<التماسك الكبير نسبيا بين عناصر مقابلة>> أشار أنه <<في حالات معينة وجود عنصر يقتضي وجود عنصر آخر أو حتى عناصر أخرى>>. وهكذا <<إذا كان للغة، مثلا، القسم المجرد للأعداد فلها بالمقابل أيضا القسم المجرد من (الظروف الخالصة)>>؛ و <<وجود الاسم (الذي ليس عاما) يفترض وجود الفعل والضمير والرابط>>.

إن معرفة هذه التقابلات، والتماسك الكبير نسبيا الموجود بين عناصرها يفترض بطبيعة الحال منهجا صارما يطرح كثيرا من الإشكالات. (1)

إن إلحاق هذه القوانين اللسانية بقوانين العلوم الدقيقة لا يمكن أن يكون تاما : فالبرهنة على نظرية في الهندسة تستند على فرضيات موضوعة مسبقا. ومثل هذه الفرضيات مفقودة في اللسانيات أو تقتصر على مبادئ جد عامة لتحديد وقائع خاصة مثل <<الكل يتماسك في اللغة>>، <<اللغة نظام من أنظمة مؤسسة على تقابلات>>. الخ... ومن هنا تأتي خطورة البنيات المسبقة واللجوء إلى الحدس.

فالقوانين التي نضعها ليست لها خاصية عدم النقاش التي تميز البديهية.

تستمد القوانين اللسانية حقيقتها من الوقائع : فهي تعتمد على الملاحظة وتستدعي مراجعة مستمرة على ضوء هذه الوقائع. وهكذا تتجلى وجود قائمة عامة للإجراءات اللسانية وشروط تطور الأبواب النحوية في اللغات التي يمكن ملاحظتها.

1) – لتجسيد هذا النوع من المشاكل، الذي يهم بصفة خاصة البحث عن الكليات اللغوية يمكن أن نشير إلى منهج ج.هـ. قرينبرج (J. H. Gretnberg) الذي، يتفحص 30 لغة متنوعة درس ترتيب العناصر في مجموعات تركيبية من مستويات مختلفة (سواء منها عنصر أصلي– عنصر مشتق أم فاعل، فعل، مفعول مثلا) ولاحظ أن سمات ترتيبية في هذه المجموعات تترابط مع مستويات مختلفة للغات المدروسة. (ينظر : Universals of language – كامبريدج، 1963 خاصة ص: 58 –90).

ورغم تعقيدات المشكل، فإن اللسانيات سلكت طريق البحث عن القوانين العامة، وهي تتقدم في الطريق التي أشار إليها هـ. فرأي (H. Frei) الذي وهو يعالج <<اللسانيات كعلم قوانين>> [1] كتب عام 1907 : <<لسانيات الوقائع ما هي إلا مرحلة نحو لسانيات القوانين>>.

1) – في الدورية I. Lingua، 1 ص 25 – 33 حيث يذكر أمثلة القوانين الفونولوجية والصرفية المشار إليها سابقا.

ثبت المراجع

(مقتصر على المؤلفات الفرنسية)

مؤلفات-مداخل

G. Moulin, Clefs pour la linguistique, Seghers, 1re éd., 1968.
La linguistique, Encyclopoche Larousse, 1er éd., 1977.
R.ELUERD. Pour aborder la linguistique, Initiation, recyclage, 1er éd.. 1977.
C.BAYLON et P.Farre, la sémantique (exposé théorique et exercices). Nathan, 1978.
Dans la collection –Que sais-je ? – entre autres :
C.Hagège.La structure des langues (n 2006.
B.MALMBERG, La phonétique (n 637).
j.l.Duchet, la phonologie (n 1875).
P.GUIRAUD.La grammaire (n 788), La stylistique (n 646).
1.Tamba – Mecz, La sémantique (n 655).
P.CHAUCHARD, Le langage et la pensée (n 690).
J.HAUDRY, L'indo-européen (n 1798).

مؤلفات ذات طابع عام

موسوعات وقواميس:

Le langage (dir. A. MARTINET), Gallimard, Encyclopédie de la Pléiade, 1968.
Le langage (dir.B.POTTIER), Dictionnaires du savoir moderne, 1973.
0.ducrot et T.TODOROV, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Seuil, 1972.
G.MOUNIN, Dictionnaire de linguistique, PUF, 1974.
J.DUBOIS et autres, Dictionnaire de linguistique, Larousse, 1973.

حول تطور اللسانيات:

G.MOUNIN, Histoire de la linguistique des origines au XX e siècle, PUF, 1967.
R.H.Robins. Brève histoire de la linguistique de Platon à Chomsky, trad M.Borel. Seuil, 1976.
B.MALMBERG, Analyse du langage au XXe siécle.Théories et méthodes, Paris, PUF, 1983, et Histoire de la linguistique de Sumer a Saussure,PUF, 1991.

حول لغات العالم:

Les langues du monde (dir.A.MEILLET et M.COHEN. 2e éd., CNRS. 1952).
En cours de remplacement par Les langues dans le monde ancien et moderne (dir. J.PERROT. CNRS). 2 VOL.PARUS : Les langues de l'Afrique subsaharienne.
Pidgins et créoles (éd.G.MANESSY). 1981. Langues chamito-sémitiques (éd.D.COHEN). 1988.
La réforme des langues : histoire et avenir , éd. par 1. par 1.FODOR et C.HAGEGE, Hamburg, Buske, 1982.

مؤلفات نظرية

F. de SAUSSURE, Cours de linguistique générale, éd. critique de MAURO, Payot, 1974.
E.BENVENISTE,Problèmes de linguistique générale. Gallimard. I.1966.II.1974.
R.JAKOBSON, Essais de linguistique générale, Ed. De Minuit, 1963.
L.HJELMSLEV. Le langage. trad. M.OLSEN. Ed. de Minuit, 1966
A.MARTINET. Eléments de linguistique générale. Colin 1960. nouv.ed . 1980. Syntaxe générale. Colin. 1985. Evolution des langues et reconstruction. PUF. 1975.
B.POTTIER. linguistique générale : théorie et description. Klincksieck. 1974.
J.LYONS. Linguistique générale. Introduction à la linguistique théorique. trad.f.DUBOIS-CHARLIER et D.ROBINSON. Larousse. 1970.
A.SAUVAGEOT . La structure du langage. Aix-en-Provence . 1992.
J.FEUILLET. Introduction à l'analyse morphosyntaxique. PUF. 1988.
N.RUWET. Introduction à la grammaire générative. Plon. 1967.
W. von WARTBURG. Problèmes et méthodes de la linguistique. PUF. 3e éd.. 1969.
C.HAGEGE. L'homme de paroles . Fayard. 1985.
B.MALMBERG. Le langage signe de l'humain m Picard 1979.
O. DUCROT. Dire et ne pas dire. Principes de sémantique linguistique. Hermann. 1972.
P.LERAT. Sémantique description. Hachette Université. 1983.

دوريات

Bulletin de la Société de linguistique de Paris. Klincksieck.
La linguistique. PUF.
Langages. Didier-Larousse.
Etudes de linguistique appliquée. Didier.
Langues française. Larousse.

الفهرس

سلسلة العلم والمعرفة

سلسلة العلم والمعرفة تعالج مواضيع علمية وأدبية أساسية يستفيد منها العام والخاص من طلبة وأساتذة ومثقفين. المؤلفون في هذه السلسلة من أبرزالمتخصصين في موادهم : اللسانيات ، الطب ، الأدب ، التربية ، التاريخ ، العلوم الإنسانية.....

1-**مبادئ في اللسانيات العامة**(أندري مرتيني)
ترجمة الدكتور الزبير سعدي.
2-**إشكالية الكتاب المدرسي**(برنار سبرنق)
ترجمة الدكتورالحواس مسعودي.
3-**مرض الربو**(جاك فيالات)
ترجمة الدكتور نصر الدين ياحي.
4-**الأدب العربي**(أندري ميكال).
5-**البنيوية**(جان بياجي)
6-**اللسانيات**(جان بيرى)
7- **الصوتيات**(برتيل مالمبرق)
8-**الفونولوجيا**(الصوتيات الوظيفية) (جان لوي دوشي)

دار الآفاق
10 شارع مصطفى خالف-الأبيار